الكتاب الجامع للفضائل

(٦٠)

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم لهذا الدين، وزبدة رسالات النبيِّين والمرسلين.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمم لبناء الإسلام.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أظهر صفات أُولى العزم والكُمَّل من المؤمنين، وأبرز سماتهم.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مَناط خيريَّةِ هذه الأمة، وأهم خصائصها.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين، وتجاف عن صفات المنافقين.

٦- الآمِرُ بالمعروف والناهي عن المنكر له مِثْلُ أَجْرِ مَن اتَّبعه.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلٌ إلى الفلاح.

٨- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستقيم الحياة.

وقفة مع هذا السؤال: **ماذا لو تُرك الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر**؟

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مُوجِبٌ للرحمة وتركهما يُفضي إلى اللعنة؟

١٠- منزلة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي مرتبة الأنبياء عند الله تعالى.

١١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنصر والتمكين.

١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامةُ الملَّةِ والشريعة، وحفظُ الدِّين والعقيدة.

١٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص أوصاف النبي في التوراة والإنجيل.

١٤- الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر شُكرٌ للَّهِ على نِعَمِه.

١٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مظهر عظيم للغيرة، وإجلالٌ لله، وتعظيم لحرماته، ودليل حياة القلب.

١٦- بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تُحفظُ الضروريات الخمسُ.

١٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شدٌّ لظَهرِ المؤمن، وإرغامٌ لأنفِ المُنافق والزِّنديق.

١٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حق الطريق.

١٩- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر إقامةٌ لِحجَّة الله تعالى على خَلقِه.

٢٠- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر شهادةٌ على الخَلق.

٢١- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر خروجٌ من عُهدة التكليف.

٢٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أفضل وأحب الأعمال إلى الله.

٢٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من العذاب.

٢٤- الثوابُ العظيمُ للآمِرِ بالمعروف والناهي عن المنكر.

٢٥- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر بابٌ عظيمٌ لتكفير السيِّئات.

٢٦- الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر أفضلُ الجهاد.

٢٧- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من مُوجِبات الجَنَّة.

ومما يدل على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: العواقب الوخيمة التي تلحق بمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومنها:

١- نَفي الإيمان عمَّن قَعد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بالقلب.

٢- ترك الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر سبب للعن الله تعالى على من وقع في مثل هذا.

٣- ترك الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر سبب لعدم إجابة الدعاء.

٤- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر نشرٌ للعلم والسُّنة، وذيوعٌ للخير، وتركُهما اندراسٌ للعلم، وظهور للجهل، وتزيينٌ للمعاصي.

٥- تاركُ الأمرِ والنَّهي والقاعِدُ عنهما موصوفٌ بالظلم.

٦- شمول العذاب للجميع عند كثرة الخبث وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]

مقدمة:

اعلم أخي الحبيب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب من تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين رحمة بهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، وأنه يُفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال.

قال أحد السلف: " وددتُ أن الخلق كلهم أطاعوا الله، وأن لحمي قرض بالمقاريض ".

وقال عبد الملك بنُ عُمَرَ بن عبد العزيز لأبيه: " وددتُ أني غلتْ بي وبك القدورُ في الله تعالى ".

ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان النبي ﷺ يأخذ العهد والميثاق ويبايع الصحابة على أن يقوموا بهذا الأمر.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العُسر واليُسر، والمنشط والمكره[2] وعلى أثرة علينا[3]، وعلى ألَّا تُنازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنَّا، لا نَخافُ في الله لومةَ لائمٍ ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث جرير البجلي ﷺ قال: **بايعتُ النبيَّ ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصح لكل مسلم ".**

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع وبيان فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من كتاب ربنا وسنة رسولنا ﷺ.

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم لهذا الدين، وزبدة رسالات النبيِّين والمرسلين:

قال القاضي أبو بكر بن العربي-رحمه الله-: " الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر بابٌ عظيمٌ، هو ابتداءُ الدين والإسلام، وهو أيضًا انتهاؤه ". **(أحكام القرآن لابن العربي:٣٩٤/١).**

وقال الإمام الشوكاني-رحمه الله-: " والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أعظم واجبات الشريعة، وأصل عظيم من أصولها، ورُكنٌ مَشِيدٌ[4] من أركانها، وبه يَكمُلُ نظامُها، ويرتفع سَنامُها ".

(فتح القدير للشوكاني:٣٣٧/١)

١- استفدت كثيرًا من كتاب" المسك الأذفر في فضائل وضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لفضيلة الشيخ الدكتور/سيد حسين العفاني-حفظه الله-.
٢- أي: نُطيع في حالة النشاط والكسل، ولا تتوقفُ طاعتنا فقط على وقت نشاطنا. وقيل: المراد من "المكره": ما نكرهه ما لم يكن معصيةً.
٣- أي: بايعناه على أن نَسمعَ ونُطيعَ لأئمَّتنا-حتى لو لم يُعطونا حقوقنا-.
٤- المَشِيد: الشَّديد الحصين. (انظر تفسير ابن كثير:٧٩/١٠)

وقال الإمام أبو حامد الغزَّاليُّ-رحمه الله-: " إن الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المُهمُّ الذي ابتعث الله له النبيِّين أجمعين، ولو طُوي بساطُه، وأهمل عمله: لتعطلت النبوَّة واضمحلت الدِّيانة، وعمت الفترة[١]، وفَشت الضَّلالة، وشاعت الجهالة، واستَشرى الفساد واتَّسع الخَرقُ، وخَربت البلاد، وهَلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد. وقد كان الذي خِفنا أن يكون، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، إذ قدِ اندرس[٢]من هذا القطب عِلمُه وعَمَلُه، وانمَحق بالكلية حقيقته ورسْمه، فاستولت على القلوب مُداهنة الخلق[٣]، وانْمحت عنها مراقبةُ الخالق، واسترسل الناسُ في اتِّباع الهوى والشهوات استرسالَ البهائم، وعزَّ على بِساط الأرض مؤمنٌ صادقٌ لا تأخذه في الله لومةُ لائم.

فمَن سَعى في تَلافي هذه الفترة، وسدِّ هذه الثُّلمة[٤] – إمَّا مُتكفِّلًا بعَمَلها، أو مُتقلِّدًا لتنفيذها، مُجدّدًا لهذا السُّنة الدَّاثرة[٥]، ناهضًا بأعبائها، ومُتشمِّرًا في إحيائها-: كان مستأثِرًا من بين الخَلْق بإحياء سُنَّةٍ أفضى الزمانُ إلى إماتتها، ومُستبدًّا[٦] بقربةٍ تتضاءلُ درجاتُ القُرب دون ذروتها ". اهـ **(إحياء علوم الدين :٢/٣٣٣)**

قال تعالى عن أنبيائه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ **(الأنبياء:٧٣).**

قال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-: " وقد جرت سُنةُ الأنبياء والمرسلين والسَّلفِ الصالحين على الدَّعوة إلى الخير والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان محفوفًا بالمكاره والمخاوف ".

(تفسير المنار:٤/٣٢)

وقال الإمام القرطبيُّ-رحمه الله-: " إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر كانا واجبين في الأُمم المتقدِّمة، وهو فائدةُ الرسالةِ وخِلافةُ النبوَّة ". **(تفسير الطبري:٤/٧٤).**

وقال الإمام الرَّازي-رحمه الله-: " رأسُ المعروف الإيمانُ بالله، ورأسُ المنكر الكفرُ بالله، والجهادُ يُوجِبُ الترغيبَ في الإيمان والزَّجر عن الكفر، والجهادُ داخلٌ في باب الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر ".

(مفاتيح الغيب للرازي:٤/٥٢١)

وقال الإمام السَّرْخَسيُّ-رحمه الله-: " وقد سمى رسول الله ﷺ الجهادَ: **ذُروةَ سنامِ الدِّين**[٧]"، وفيه أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، وهو صفةُ هذه الأمَّة، وفيه تعرُّضٌ لأعلى الدَّرجات؛ وهي الشهادة ".

(شرح السِّيَر الكبير:١/١٩)

١- الفترة: الانقطاع عن العمل للآخرة.
٢- اندرس: زال ومَحي.
٣- المداهنة: اتباعُ أهلِ الباطل في باطلهم.
٤- الثلمة: الفجوة.
٥ - الداثرة: الزائلة الضائعة.
٦ - مستبدًا: متفردًا.
٧- جزء من حديث رواه الإمام أحمد والترمذي.

***وقال الإمام الشاطبي** -رحمه الله- في" **الموافقات**":* " الجهادُ الذي شُرع بالمدينة فرعٌ من فروع الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر، وهو مقرَّرٌ بمكة ". **(الموافقات للشاطبي:٣/٥٠)**

اعلم أخي الحبيب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضُيِّعَ أكثرُه من أزمانٍ متطاوِلة، ولم يبقَ منه في هذه الأزمان إلَّا رسومٌ قليلةٌ جدًّا، وهو بابٌ عظيمٌ به قوامُ الأمر وملاكُه، وإذا كثُر الخَبَثُ، ولم يؤمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ولم يُؤْخَذ على يد الظالمِ، عمَّ العقابُ الصالحَ والطالحَ .

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **(النور:٦٣)**

فينبغي لطالب الآخرة، والساعي في تحصيل رضا الله – تعالى– أن يعتني بهذا الباب، فإنَّ نَفعَه عظيم، لا سيَّما وقد ذَهب مُعظمُه. وعلى الآمر بالمعروف أن يُخلصَ نيَّته، ولا يَهابَنَّ مَن يُنْكِرُ عليه لارتفاع مَرتبَته، **لأن الله تعالى قال:** ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ **(الحج: ٤٠)**.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **(آل عمران: ١٠١)**.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ **(العنكبوت:٦٩)**.

وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ **(العنكبوت:٢)**.

واعلم أخي الحبيب أن الأجر على قَدْرِ النَّصب[١] ولا يتركُه أيضًا لصداقته ومودَّته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده[٢] ودوام المنزلة لديه، فإنَّ صداقتَه ومودَّته تُوجب له حُرمةً وحقًّا، ومن حقِّه أن يَنصحه ويهديَه إلى مصالح آخرته، ويُنقذَه من مضارِّها، وصديقُ الإنسان ومُحِبُّه هو من سعى في عِمارة آخِرتِه – وإنْ أدَّى ذلك إلى نقص في دنياه–؛ وعَدوُّه من يَسعى في ذهاب أو نقص آخرته – وإن حصل بسبب ذلك صورةُ نفع في دنياه–؛ وإنما كان إبليسُ عدوًّا لنا لهذا، وكان الأنبياء–صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – أولياءَ للمؤمنين لسَعيهم في مصالحِ آخرتهم وهدايتهم إليها. ونسألُ اللهَ الكريم توفيقَنا وتوفيق أحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته. وينبغي للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يرفُق، ليكونَ أقربَ إلى تحصيل المطلوب.

***قال الشافعيُّ**–رحمه الله–:* " مَن وَعَظَ أَخاه سرًّا فقد نَصَحه وزانه، ومن وعظه علانيةً فقد فَضحه وشانَه". **(شرح صحيح مسلم للنووي:٢/٢٤)**

١- كما ثبت أن النبي ﷺ قال لأمنا عائشة-رضي الله عنها-: " أجرُكِ على قَدْرِ نَصَبِكِ ". (رواه البخاري ومسلم)

٢- الضمير في الكلمات السابقة عائد على مفهومٍ من الكلام، وهو: الحبيب أو القريب، أو الصديق.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمم لبناء الإسلام:

فقد أخرج البزار من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" الإسلامُ ثَمانِيَةُ أَسْهُمٍ: الإسلامُ سَهْمٌ، والصَّلاةُ سَهْمٌ، والزكاةُ سَهْمٌ، والصَّوْمُ سَهْمٌ، وحجُّ البيتِ سَهْمٌ، والأَمْرُ بالمعروفِ سَهْمٌ، والنَّهْيُ عَنِ المنكرِ سَهْمٌ، والجهادُ في سبيلِ اللهِ سَهْمٌ، وقد خَابَ مَنْ لا سَهْمَ لهُ ".(صحيح الترغيب: ٢٣٢٤)

فالإسْلامُ بِناءٌ مُحكَمٌ، وأرْكانُه الخَمْسةُ هي قَواعدُ ثابِتةٌ مُحْكَمةٌ حامِلةٌ لذلك البُنْيانِ، ولا يَثْبُتُ البُنْيانُ بِدُونِها، وبَقيَّةُ خِصالِ الإسْلامِ تَتِمَّةٌ لهذا البُنْيانِ. وفي هذا يُقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **الإسْلامُ ثَمانِيةُ أَسْهُمٍ**"، أي: ثَمانِيةُ أقْسامٍ، أو ثَمانِيةُ أُمورٍ:" **الإسْلامُ سَهْمٌ**"، أي: الدُّخولُ في الإسْلامِ هو أوَّلُ سَهْمٍ، ويَكونُ بنُطْقِ الشَّهادَتَينِ." **والصَّلاةُ سَهْمٌ** " وهو إقامَةُ الصَّلاةِ والمُحافَظةُ على أدائِها في أوْقاتِها، بِشُروطِها وأرْكانِها وواجِباتِها، والمُرادُ بها: الصَّلَواتُ الخَمْسُ التي هي الفرائضُ في اليومِ واللَّيلةِ. "**والزَّكاةُ سَهْمٌ**"، والمُرادُ بها: زَكاةُ الفَريضةِ، وهي المِقْدارُ الذي سَمَّاه وحَدَّدَه الشَّرْعُ في كلِّ أنْواعِ المالِ، ومنها ما يُشترَطُ فيه أن يَحولَ عليْه الحَوْلُ، وهو العامُ القَمَريُّ (الهجري) كَزكاةِ المالِ والأنعامِ وعُروضِ التِّجارةِ، ومنها ما لا يشترط فيه حول، كزكاةِ الزُّروعِ والثِّمارِ فإنَّها تكونُ يَومَ الحَصادِ، وزكاةِ الرِّكازِ –وهو الكَنزُ المدفونُ في الأرضِ– فزَكاتُه تكونُ وقتَ استِخراجِه." **والصَّوْمُ سَهْمٌ**" والصَّومُ عِبادةٌ بَدَنيَّةٌ ليستْ مُتَعدِّيةً، والمُرادُ به: صِيامُ رَمَضانَ، وهو الإمْساكُ، بِنِيَّةِ التَّعبُّدِ، عن الأَكْلِ والشُّرْبِ وغِشْيانِ النِّساءِ، وسائرِ المُفطِّراتِ، مِن طُلوعِ الفَجْرِ إلى غُروبِ الشَّمْسِ." وحَجُّ البَيْتِ سَهْمٌ" بقَصْدِ المَشاعِرِ المُقدَّسةِ لإقامةِ المَناسِكِ، تَعبُّدًا للهِ عَزَّ وجَلَّ، مَرَّةً واحِدةً في العُمُرِ، على مَنِ اسْتَطاعَ إليْه سَبيلًا." **والأَمْرُ بالمَعْروفِ سَهْمٌ**"، وهو الحَثُّ والإرْشادُ إلى فِعْلِ المَعْروفِ، وهو كلُّ خيرٍ وبِرٍّ مِن الطَّاعاتِ، وفَضائِلِ الأعْمالِ، ويَشمَلُ ذلك أعْمالَ الدُّنْيا والآخِرةِ." **والنَّهْيُ عن المُنكَرِ سَهْمٌ**"، ويَكونُ بمَنْعِ الغَيرِ عن كلِّ أفْعالِ الشَّرِّ والعِصْيانِ، وما خالَفَ الشَّرْعَ، والأمْرُ بالمَعْروفِ، والنَّهْيُ عن المُنكَرِ مِن أعْظَمِ مُميِّزاتِ الشَّرْعِ الإسْلاميِّ، وبِهما تتَفاضَلُ الأمَمُ؛ قالَ اللهُ تَعالى: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ}** (آل عمران:١١٠)؛ فإنَّها خيرُ أُمَّةٍ لأَجْلِ ذلك، ويُراعَى فيه أنْ يَكونَ بعِلمٍ وحِكمةٍ، ويُحذَرُ فيه أنْ يُؤدِّي إلى مَفسدةٍ أعْظَمَ." **والجِهادُ في سَبيلِ اللهِ سَهْمٌ**" ويَكونُ الجِهادُ بالقِتالِ مِن أَجْلِ رَفْعِ كَلِمةِ اللهِ ودَعْوتِه، وهو يَشمَلُ الجِهادَ لفَتْحِ البُلْدانِ ونَشْرِ دَعوةِ الإسلامِ، والجِهادَ لدَفْعِ العَدُوِّ؛ فبالجِهادِ تَعْلو كَلِمةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وتَقْوى شَوْكةُ المُسْلِمينَ، فلا يَطْمَعُ فيهم عَدوُّهم، ولا يَسْتَبيحُهم. وبعْدَ بَيانِ هذه الأقْسامِ والسِّهامِ قالَ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ:" **وقد خابَ مَن لا سَهْمَ له**"؛ فمَن لم يَدْخُلْ في الإسْلامِ، وكَفَرَ به، فلا حَظَّ له، بل هو الخاسِرُ عندَ اللهِ، وكذلك فإنَّ المُسْلِمَ عليْه أنْ يأْخُذَ لنفْسِه بِنَصيبٍ مِن هذه السِّهامِ على حَسَبِ اسْتِطاعَتِه، فيُكثِرَ مِن فِعْلِه حتى يَزْدادَ رِفْعةً وإيمانًا. والحديثُ فيه دَلالةٌ على أنَّ أَسْهُمَ الإسْلامِ منها: ما هو عَمَلٌ لِسانيٌّ قَلْبيٌّ، وهو الشَّهادتانِ؛ إذْ لا بُدَّ فيهما مِن نُطْقِ اللِّسانِ، وتَصْديقِ الجَنانِ، ومنها: ما هو عَمَلٌ بَدَنيٌّ، وهو الصَّلاةُ والصَّومُ، والجِهادُ، ومنها: ما هو ماليٌّ مَحْضٌ، وهو الزَّكاةُ، ومنها: ما هو عَمَلٌ بَدَنيٌّ ماليٌّ، وهو الحَجُّ، ومنها: ما هو مَعْنَويٌّ عَمَليٌّ، وهو الأمْرُ بالمَعْروفِ والنَّهْيُ عن المُنكَرِ؛ فشَمِلَتْ كلَّ أنْواعِ الأعْمالِ، فيَلْزَمُ الإنْسانَ المُسْلِمَ الأُصولُ الخَمْسةُ التي بُنيَ عليْها الإسْلامُ، ثُمَّ ما زادَ على ذلك فيَأْتِي منها ما اسْتَطاعَ. (الدرر السنية)

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أظهر صفات أولى العزم والكُمَّل من المؤمنين، وأبرز سماتهم:

أولئك الذين اقتفُوا هَدْي رسول الله ﷺ وجعلوه أسوتهم.

ومن تكنْ برسول الله أُسوتُه كانت خلائقُهُ روحًا ورَيْحَانَا

قال الله تعالى فيهم: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:١٢٢)

هذه صفةٌ جليلة، تتجاوز صلاح الذات إلى إصلاح العباد والحياة، وهي حفظ حدود الله يَردُّ عنها العادِينَ والمضيعين، ويصونها من التهجم والانتهاك.

قال ابن كثير-رحمه الله-: " ينفعون خَلْقَ اللَّه، ويُرشدونَهم إلى طاعةِ الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويَجب تركه، وهو حفظ حدود الله في تَحليله وتَحريمِه علمًا وعملًا، فقاموا بعبادة الحقِّ ونُصح الخلق؛ ولهذا قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة – كلُّ السعادة – لمن اتصف به ". (تفسير ابن كثير:٢/ ٣٩٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يصبر عليه إلَّا أولو العزم من الرجال.

قال تعالى- في وصية لقمان لابنه -: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

قال الألوسي -رحمه الله-: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ تكميلًا لنفسك، ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ تكميلا لغيرك ". (روح المعاني للألوسي:٢١/٨٩).

وقال الرازي-رحمه الله-: " إذا أكملت نفسك بعبادةٍ، فكمِّل غيرَك، فإنَّ شُغل الأنبياء وورثتهم من العلماء: هو أن يَكمُلُوا في أنفسهم، ويُكمِّلوا غيرهم ". (مفاتيح الغيب للرازي :٦/٥٧٨)

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

وقال تعالى عن مؤمني أهل الكتاب الذين تابعو النبي ﷺ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ(١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ(١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١١٣- ١١٥)

صورةٌ مضيئةٌ – أمام الرّاغبين في هذه الشَّهادة وفي هذا الوعد – ليُحقِّقها في ذات نفسه كلُّ مَن يشتاقُ إلى نُورها الوَضِيءِ في أُفُقِها المُنير.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مَناط[١] خيريَّةِ هذه الأمة، وأهم خصائصها:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة -رحمه الله-: " وَصَف الأمةَ بما وصف به رسولَها ﷺ، وذلك لأن صلاح المعاش والمعادِ إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وذلك لا يتم إلَّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناس". (مجموع فتاوى ابن تيمية:٢٨/١٢٢).

قال قتادة-رحمه الله-: " بلغنا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجها رأى مِنَ الناس رِعَةً[٢]، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... ﴾، ثُمَّ قال: من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها ". (تفسير ابن جرير:٥/١٠٢)

ومَن لم يتّصف بذلك أشبَه أهل الكتاب الذين ذمَّهُمُ الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ (المائدة: ٧٩)(انظر تفسير ابن كثير:١/٣٩٦)

قال الإمام القُرطبي-رحمه الله-: {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ}: مدح لهذه الأمة- ما أقاموا ذلك واتَّصفوا به-، فإذا تركوا التغيير وتواطَؤُوا على المنكر، زال عنهم اسمُ المدح، ولحقهم اسم الذَّم، وكان سببا لهلاكهم ". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٤/١٧٣).

وقال أيضا-رحمه الله-: " إن أخصَّ أوصاف المؤمن الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسُها الدعاءُ إلى الإسلام والقتال عليه ". (المصدر السابق:٤/٤٧)

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: " خير الناس للناس، تأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم[٣] حتى يدخلوا في الإسلام ".

(انظر فتح الباري:٨/٢٢٤، حديث (٤٥٥٦)، كتاب التفسير- تفسير سورة آل عمران"، باب: كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله-: " وهكذا قال ابنُ عباس ومُجاهدٌ وعطيةُ العَوفيُّ وعكرمةُ وعطاءُ والرَّبيع ابنُ أَنس: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾،" يعني: خير الناس للناس". والمعنى: أنَّهم خيرُ الأمم، وأنفعُ الناس للناس، ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(تفسير ابن كثير:١/٣٩١) (الفتاوى:٣٥/١٦٠)

١- المناط: العلة.

٢- الرعة: بكسر الراء؛ سوء الهيئة وسوء الأدب.

٣- يقصد الأسرى ونحوهم. قال صاحب "عون المعبود" -رحمه الله- :" المعنى أنهم يؤخذون أُسارى قهرًا وكرهًا في السلاسل والقيود، فيدخلون في دار الإسلام، ثم يرزقهم الله الإيمان، فيدخلون به الجنة. وقال الكِرمانيُّ-رحمه الله-: لعلّهم المسلمون الذي هم أسارى في أيدي الكفَّار، فيموتون- أو يقتلون- على هذه الحالة، فيحشرون عليها، ويدخلون الجنة كذلك".

ولهذا كانت الدعوة إلى الإسلام أعلى الأمرِ بالمعروف ورأسه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣)

قال ابن القيم–رحمه الله–:" قال الحسن: هو المؤمنُ، أَجابَ اللَّهَ في دعوته، ودعا الناسَ إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمِل صالحًا في إجابته، فهذا حبيب الله، هذا ولي الله ". فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات التعبد". اهـ (مفتاح دار السعادة:١/١٥٣)

لطيفة:

في هذه الآية قدَّم اللهُ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله – مع أن الإيمان لا يتقدَّمُه شيءٌ من الأعمال ولا يَفضُلُه–؛ ولكن قد يكون هذا التقديمُ – في هذا الموضع– يُراد به إبراز خاصِّية وميزةٍ لهذه الأمَّةِ على غيرها من الأمم، فإنَّهم[1]– وإن كانوا مطالبينَ به– إلا أنه لم يكن تَحقَّق فيهم كتحقُّقِهِ في هذه الأمة، فاستحقُّوا التفضيل به على غيرهم من سائر الأمم التي سبقتهم – وإن شاركوهم في تحقيق الإيمان–.

فهذه الأمةُ خاتمةُ الأمم، ورسولها ﷺ خاتم الرسل، وكتابها آخِرُ الكتب، وقد أخرجت للناس لتأمرَهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتشهد عليهم ". (انظر التفسير الكبير٨/١٨٠) (التحرير والتنوير:٥/ ٥٠)

وقفة: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

وهذا ما ينبغي أن تُدركه الأمة الإسلامية، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أُخرجت لتكون طليعةً، ولتكون لها القيادة وبما أنّها خير أمة، ينبغي دائمًا أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائما ما تعطيه من الاعتقاد والعلم الصحيح، هذا واجبها الذي يُحتمه عليها مكانها، وتحتمه عليها غاية وجودها. واجبها أن تكون في الطليعة دائما، وفي مركز القيادة دائما، ولهذا المركز تبعاتُه.

وفي أول مقتضيات هذه المكانة أن تقوم على صيانة الحياة من الشر والفساد، والتحريض على الخير إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبودية لله في أبْهى صورها، وإنه لابدَّ من عبودية، فإن لم تكن لله وحده، تكن لغير الله. والعبودية لله وحده تُطلقُ الناسَ أحرارًا كرامًا شُرفاء. والعبودية لغير الله ذلة ومهانة وضياع لكرامة الإنسان وحريته وفضله. إن الله تعالى وصف الأمة المسلمة بأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفتها، ليَدُلَّها على أنّها لا تُوجد وجودًا حقيقيًا، إلَّا أن تتوافر فيها هذه السمة الأساسية التي تُعرَفُ بها في المجتمع الإنساني؛ وهذا يدلُّ على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

١ ـ يعني الأمم السابقة.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق بين المؤمنين والمنافقين، وتجاف[١] عن صفات المنافقين:

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة:٦٧).

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة:٧١)

قال الإمام البيهقي-رحمه الله-: " إن الله تعالى جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فَرْقًا ما بين المؤمنين والمنافقين؛ لأنه قال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ فثبت بذلك أن أخصَّ أوصاف المؤمنين، وأقواها دِلالةً على صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم: هو الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر". (شعب الإيمان:٦/٨٤).

فالأمر بالمعروف أخصُّ أوصاف المؤمنين، وضدُّه أخصُّ أوصاف المنافقين المفارقين للمؤمنين في منهجهم ومعتقدهم ومصيرهم.

٦- الآمرُ بالمعروف والناهي عن المنكر له مثل أجْرِ مَن اتَّبعه:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن دلَّ على خير فَلَهُ مثل أجر فاعله ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنقُصُ ذلك من أجورهم شيئا".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " فواللهِ لَأَنْ يَهْدِي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من حُمْر النَّعَم[٢] ".

وأخرج الترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ الدال على الخير كفاعله ".

(صحيح الجامع:١٦٠٥)

- *وفي رواية:* " دليلُ الخير كفاعله ". (رواه ابن النجار عن علي ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع:٣٣٩٠).

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن استَنَّ خيرًا فاستُنَّ به كان له أجرُهُ كاملا، ومن أجور من استَنَّ به ولا يَنقُصُ من أجورهم شيئًا؛ ومَن استَنَّ سُنَّةً سيئة فاستن به، فعليه وزره كاملًا ومن أوزار الذي استنَّ به، ولا ينقص من أوزارهم شيئًا ". (صحيح الجامع:٦٠١٤).

١- التجافي: الابتعاد.
٢- حمر النعم: النوق الحمراء، وهي من أنفس أموال العرب.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيلٌ إلى الفلاح:

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران:١٠٤)

قال القرطبي-رحمه الله-: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: جماعةٌ، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، يعني: إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ". (تفسير القرطبي:٤/٢٤)

وبيَّن المَلِكُ ﷻ أن الفلاح مَنُوطٌ[١]. بالقائمين به المباشرين له، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عمَّ الحرجُ كافة القادرين عليه -لا محالة -.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم، وفيهم الجبار الغاشم، وفيهم الحاكم المتسلط، وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد، وفيهم المنحل الذي يكره الجد، وفيهم الظالم الذي يكره العدل، وفيهم المنحرفُ الذي يكره الاستقامة. وفيهم ممَّن يُنكرون المعروف ويَعرفون المنكر.

ولا تُفلحُ الأمة، ولا تُفلح البشرية إلَّا أن يسودَ الخيرُ، وإلَّا أن يكون المعروفُ معروفًا، والمنكرُ منكرًا.

والمعروفُ الأكبر هو: الاعتراف بسلطان الله ومنهجه للحياة، والعبودية له وحده. والمنكر الأكبر هو الشرك، ورفضُ ألوهية الله، ورفض شريعته للحياة.

٨- بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستقيم الحياة:

قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:١١٦).

سُنةٌ من سنن الله في الأمم، الأمم التي يظلمُ فيها الظالمون، ويُفْسِدُ فيها المفسدون، فلا ينهضُ مَن يدفعُ الظلم والفساد، فإنَّ سُنة اللَّهِ تَحِقُ عليها؛ إما باستئصال أو انحلال واختلال.

فالآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر هم صِمامُ الأمان للأمم والشعوب، وهم يَحُولُون دون أمَمِهم وغضب الله واستحقاق النَّكال[٢] والضَّياع.

قال تبارك وتعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤).

١- مَنُوطٌ مُعلق.
٢- النكال: العقوبة.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:٢)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

لا يُبقُون على منكرٍ وهم قادرون على تغييره، ولا يَقعدون عن معروفٍ وهم قادرون على تَحقيقه.

وقفة مع هذا السؤال: ماذا لو تُرك الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر؟

تتحول الحياة حينئذ إلى مستنقع آسن[١]؛ حُكمٌ بغير شرع الله، اقتصاد يقوم على الرِّبا، مُجتمع قانونه لا يعتبر الزنا جريمةٌ إلَّا في حالةِ الإكراه، ولا يُعاقِبُ-حتَّى في حالة الإكراه- بشريعة الله، وخمورٌ يُباحُ تداولها، ولا يعاقَبُ شاربها إلا على حالة السُّكْرِ البين في الطريق العام -وحتى هذه لا يُعاقَبُ فيها بحدِّ الله-، وشذوذ، وسب لدين الله ﷻ.

أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا تقومُ السَّاعَةُ حَتَّى لا يُقال في الأرض: الله، الله ".**

قال ابن كثير-رحمه الله- في أحد قوليه- معناه: **" أن أحدًا لا يُنكر منكرًا، ولا يَزجُرُ أحدًا إذا رآه قد تعاطى منكرًا، وعبر عن ذلك بقوله:" حتى لا يُقال: الله الله ".**

وأخرج الإمام أحمد من حديث عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا تقومُ الساعةُ حتَّى يأخذ اللهُ شَرِيطتَه[٢] من أهل الأرضِ، فيبقى فيها عجاجةٌ[٣] لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون منكرًا[٤] ".**

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّها ستأتي على الناس سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذِّبُ فيها الصَّادقُ، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ، ويَنطِقُ فيها الرُّوَيْبضةُ[٥]. قيل: وما الرُّويبضةُ؟ قال: السَّفيه[٦] يتكلَّمُ في أمر العامَّة ".** (صحيح الجامع:٣٦٥٠)

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من أشراط الساعة أن يعلو التُّحوتُ الوُعول". قال أبو هريرة ﷺ: أكذلك- يا عبد الله بن مسعود- سمعته من حِبِّي؟ قال: نعم ورب الكعبة. قلنا: وما التحوتُ؟ قال:" فُسولُ الرِّجال[٧]، وأهلُ البيوت الغامضة، يُرفعون فوق صالحيهم، والوُعول: أهل البيوت الصالحة ".**

١- الآسن المتغير العفن.
٢- شريطته أي أهل الخير والدين، و" الأشراط" من الأضداد، يقع على الأشراف والأراذل.
٣- العَجاجة والعجاج: الأراذل ومن لا خير فيهم.
٤- قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ولكن قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند:١١/٥٥١":" رجاله ثقات ؛رجال الشيخين، إلا أن فيه عنعنة الحسن - وهو البصري - ، وقد رُوي مرفوعًا وموقوفا، والأشبه وقفه.
٥ - الرُّوبيضةُ: تصغير الرابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، والتافهُ الخسيسُ الحقير.
٦- جاء في إحدى روايات المسند:" الفُوَيسِقُ". وهي تصغير" فاسق"، أي: الفاسق الحقير.
٧- الفُسول الأراذل والأنذال ومن لا مُروءة لهم.

٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مُوجِبٌ للرحمة وتركهما يُفضي إلى اللعنة:

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة:٧١).

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ[1] عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٨،٧٩).

وطبيعةُ المجتمع الصالح لا تسمح للشرِّ والمنكرِ أن يُصبحا عُرفًا مصطلحا عليه، أو أن يُصبحا أمرًا سهلًا يجترئ عليه كلُّ مَن يُهِمُّ به. والقائمون بأمر الله ودينه عليهم أن يؤدُّوا أمانتهم التي استُحفظوا عليها، فيقفوا في وجهِ الشر والفساد والطغيان والاعتداء، لا يخافون لومة لائم، سواءٌ جاء هذا الشرُّ من الحكام المتسلطين بالحكم أو الأغنياء المتسلطين بالمال أو الأشرار المتسلطين بالأذى، أو الجماهير المتسلطة بالهوى، فمنهج الله هو منهج الله، والخارجون عليه – عَلَوا أم سَفُلُوا – سواءٌ.

والإسلام يُشدِّدُ في الوفاء بهذه الأمانة، فيجعل عقوبة الجماعة عامة بما يقع فيها من شر– إذا هي سكتت عليه–، وتجعل الأمانة في عُنق كل فرد، بعد أن يضعها في عُنق الجماعة العامة. وفي الآية غاية التشدد، إذ عَلَّل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر.

وقال تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة:٦٣) .

وهذا صوتُ النذير لكل أهل الدين:

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " أكثر منافقي أُمتي قراؤها ".

(صحيح الجامع:١٢٠٣) (السلسلة الصحيحة:٧٥٠)

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " غيرُ الدَّجال، أخوفُ على أمتي من الدَّجال: الأئمة المُضِلُّون ". (الصحيحة :١٩٨٩) (صحيح الجامع:٤١٦٥).

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة:٥)

وهذه صورةٌ مزرِيَّةٌ بائسة، ومَثَلٌ سيِّئٌ شائنٌ لكل الذين حملوا أمانة العلم والعقيدة، ثُمَّ لم يحملوها ويصدعوا بها.

١- أي: ينهى بعضهم بعضًا.

يقول الأستاذ مصطفي صادق الرافعي-رحمه الله- في" وحي القلم:٣/٥٨-٦٦" تحت عنوان:" أمراء للبيع": " إننا نفوسٌ لا ألفاظ، والكلمة من قائلها هي بمعناها في نفسه، لا بمعناها في نفسها، فما يَحسُنُ بحامل الشريعة أن يَنطِقَ بكلام يردُّه الشرع عليه، ولو نافق الدِّينُ لبطل أن يكون دينا، ولو نافق العالم الديني لكان كل منافق أشرف منه، فلطخة في الثوب الأبيض ليست كلطخة في الثوب الأسود. والمنافق رجل مغطّى في حياته، لكنَّ عالِمَ الدِّين رجل مكشوف في حياته لا مُغطّى، فهو للهداية لا للتلبيس، وفيه معاني النور لا معنى الظُّلمة، وذاك يتّصل بالدِّين من ناحية العمل، فإذا نافق فقد كذب، والعالِمُ يتّصلُ بالدِّين من ناحية العمل وناحية التبيين، فإذا نافق فقد كذب وغَشَّ وخان.

وما معنى العلماء بالشَّرع، إلا أنهم امتداد لعمل النبوَّة في الناس دهرا بعد دهر، ينطقون بكلمتها، ويقومون بحجتها، ويأخذون من أخلاقها كما تأخذُ المرآة النور، تحويه في نفسها، وتلقيه على غيرها، فهي أداة لإظهاره وإظهار جماله معا. أتدري يا ولدي ما الفرقُ بين علماء الحق وعلماء السوء- وكلُّهم آخِذٌ من نورٍ واحد لا يختلف-؟!. أولئك[1] في أخلاقهم كاللوح من البلور، يظهرُ النور نفسه فيه، ويُظهِرُ حقيقته البلورية. وهؤلاء[2] بأخلاقهم كاللوح من الخشب، يُظهرُ النور حقيقته الخشبية لا غير!!.

وعالِمُ السُّوء يُفكِّرُ في كُتب الشريعة وحدها، فيسهل عليه أن يتأوَّل ويحتال، ويُغيّر ويُبدِّل، ويُظهِرَ ويُخفي، ولكنَّ العالم الحقَّ يُفكِّرُ مع كُتب الشريعة في صاحب الشريعة، فهو معه في كل حال، يسأله: " ماذا تفعل، وماذا تقول؟".

والرَّجلُ الدينيُّ لا تتحول أخلاقه، ولا تتفاوت، ولا يجيءُ كُلَّ يومٍ من حوادثِ اليوم، فهي بأخلاقه كلها، لا يكونُ مرَّةً ببعضها ومرة ببعضها، ولن تراه مع ذوي السلطان وأهل الحكمِ والنِّعمة كعالِمِ السُّوء هذا، الذي لو نطقت أفعاله لقالت لله بلسانه:" هم يُعطوني الدراهم والدنانير، فأين دراهمُك أنت ودنانيرُك؟!". إنَّ الدينار يا ولدي إذا كان صحيحًا في أحد وجهيهِ دون الآخر أو في بعضه دون بعض، فهو زائف كلُّه.

وأهل الحُكم والجاه حين يتعاملون مع هؤلاء، يتعاملون مع قُوَّة الهضم فيهم، فيُنزلون بذلك منزلة البهائم، تُقدم أعمالها لتأخذ بطونها، والبطن الآكل في العالم السُّوء يأكل دين العالم فيما يأكله.

فإذا رأيت لعالم السوء وقارًا، فهو البلادة، أو سكوتًا عن الظلم، فتلك رشوةٌ يأكلون بها ". اهـ

قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة:٦٣)

قال الضَّحَاكُ -رحمه الله- في هذه الآية: " ما في القرآن آيةٌ أخوفُ عندي منها ! إننا لا نَنهى".

(إسناده صحيح أخرجه الطبري في تفسيره)

قال ابنُ جرير-رحمه الله-: " وكان العلماء يقولون: ما في القرآن آيةٌ أشدُّ توبيخًا للعلماء من هذه الآية، ولا أخوفُ عليهم منها ". (تفسير الطبري:١٠/٤٤٩)

١- يعني علماء الحق.
٢- يعني علماء السوء.

١٠- منزلة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي مرتبة الأنبياء عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران:٢١).

استنبط الحسنُ-رحمه الله-:" أن في الآية دلالة على أنَّ الآمر بالمعروف والناهيَ عن المنكر تلي منزلتُه عند الله منزلة الأنبياء، فلهذا ذَكَرهم عقيبهم ".

(التفسير الكبير للرازي:٧/٢١٥) (وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري :٣/ ١١٥).

لطيفة: ***قال الإمام القرطبي-رحمه الله-:***" قيل: كلُّ بلدة يكون فيها أربعةٌ، فأهلها معصومون من البلاء: إمامٌ عادل لا يظلم، وعالمٌ على سبيل الهدى، ومشايخ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ونساؤهم مستوراتٌ لا يتبرَّجن تبرج الجاهلية الأولى ". (تفسير القرطبي:٤/٣٢).

١١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنصر والتمكين:

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤٠،٤١).

والله ما استُجلب نصرٌ بمثل الطاعة، وأعلاها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير الآية السابقة: لما قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ ثم ذكر علامة من ينصره، وبها يعرف، أن من ادعى أنه ينصر الله وينصر دينه، ولم يتصف بهذا الوصف، فهو كاذب فقال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ في أوقاتها، وحدودها، وأركانها، وشروطها، في الجمعة والجماعات. ﴿وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ التي عليهم خصوصا، وعلى رعيتهم عموما، آتوها أهلها، الذين هم أهلها، ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعا وعقلا، من حقوق الله، وحقوق الآدميين، ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ كل منكر شرعا وعقلا، معروف قبحه، والأمر بالشيء والنهي عنه يدخل فيه ما لا يتم إلا به، فإذا كان المعروف والمنكر يتوقف على تعلم وتعليم، أجبروا الناس على التعلم والتعليم، وإذا كان يتوقف على تأديب مقدر شرعا، أو غير مقدر، كأنواع التعزير، قاموا بذلك، وإذا كان يتوقف على جعل أناس متصدين له، لزم ذلك، ونحو ذلك مما لا يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا به. ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: جميع الأمور، ترجع إلى الله، وقد أخبر أن العاقبة للتقوى، فمن سلطه الله على العباد من الملوك، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والحالة الرشيدة، ومن تسلط عليهم بالجبروت، وأقام فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له ملك مؤقت، فإن عاقبته غير حميدة، فولايته مشئومة، وعاقبته مذمومة ". اهـ

١٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإقامة الملّة والشريعة، وحفظ الدِّين والعقيدة:

لتكونَ دائمًا كلمةُ اللهِ هي العُليا، وإلَّا صار الدِّينُ غريبًا.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠) .

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩).

فمَن لم يأمر بالخير ويَدْعُ إليهِ أُمِرَ بالشَّر، ومَن لم يَزحَفْ بمبادئه، زُحف إليه بكل مبدأ وفكرةٍ وخَواءٍ رُوحي ومبادئ أرضية وأفكار متعفنة، واختفت معالمُ الدِّين، وتفشّت المنكرات والكفر والظلم، حتّى يصبح المتمسك بدينه غريبًا بين الناس.

***قال الخَلالُ** -رحمه الله-:* " أخبرني عمرُ بن صالح بـ "طَرَسُوس[١]" قال: قال لي أبو عبد الله- أحمد بن حنبل-: يا أبا حفص، يأتي على الناس زمان، يكونُ المؤمنُ فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافقُ يُشار إليه بالأصابع. فقلت: يا أبا عبدالله، وكيف يُشار إلى المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص، صَيَّروا أمرَ اللَّهِ فُضولًا [٢]".

***وقال الخَلالُ** -رحمه الله-:* " المؤمنُ إذا رأى أمرًا بالمعروف أو نهيًا عن المنكر، لم يصبر حتى يأمر وينهى؛ يعني قالوا: هذا فضول ".

قال أيضًا: والمنافقُ كلُّ شيء يراه، قال بيده على فيه، فقالوا: نِعمَ الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل"

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص: ٦٥)

والدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده، ونبذ[٣] ما يُخالفه في العقيدة والشريعة – من شركيَّاتٍ وبدع وخرافات – أعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص أوصاف النبي ﷺ في التوراة والإنجيل:

قال تعالى عن خليله محمد ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول أوصافه ﷺ. قال ابنُ كثير-رحمه الله-:" هذه صفةُ الرَّسول ﷺ في الكتب المتقدمة، وهكذا كانت حاله ﷺ ".

١- طرَسوس: بلد بالشام.

٢- أي: يرون الآمر الناهي يتدخَّلُ فيما لا يعنيه، كما نراه في أزماننا هذه، إذا أمر العاصي بخير، أو نهي عن منكر، قال:" لا شأن لك بي، اهتم بنفسك، ولا تتطفَّل على غيرك".

٣- النبذ: الطَّرح والرمي.

١٤- الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر شُكرٌ للَّه على نِعَمِه:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رَسُول الله ﷺ:" يُصبحُ على كل سلامى[١] من أحدكم صدقةٌ؛ فكلُّ تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكلُّ تهليلة صدقةٌ، وكلُّ تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة؛ ويُجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال:" أن أُناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رَسُول الله! ذَهبَ أهل الدُّثور[٢] بالأجور، يُصلُّون كما نُصلّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم. قال:" أو ليس قد جعل الله لكم ما تَصَدَّقون؟! إنَّ بكل تسبيحة صدقة، وبكل تكبيرة صدقة، وبكل تحميدةٍ صدقةً، وبكل تهليلةٍ صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونَهي عن المنكر صدقةٌ، وفي بُضْعِ[٣] أحدِكم صدقة". قالوا: يا رَسُول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال:" أرأيتُم لو وَضَعها في حرام، أكان عليه فيها وِزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال، كان له أجرٌ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: إنَّ رَسُول الله ﷺ قال:" إنه خُلق كلُّ إنسان من بني آدمَ على سِتِّينَ وثَلاثِمائةِ مِفصل؛ فَمَن كَبَّر الله، وحَمِدَ الله، وهَلَّل الله، وسبح الله واستغفر الله وعَزَلَ حَجَرًا عن طريق الناس- أو شَوكةً أو عَظمًا-عن طريق الناس، وأمر بمعروف، أو نهى عن منكر عدد تلك السِّتِّين والثَّلاثِمائةِ السُّلامي؛ فإنه يمشي يومئذ وقد زَحزح نفسه عن النار".

وأخرج الترمذي من حديث عن أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" تَبسمك في وجه أخيك صدقةٌ، وأمرُك بالمعروف ونَهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرضِ الضَّلال لك صدقة، وبَصَرُكَ[٤] للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتُكَ الحَجَرَ والشَّوكةَ والعَظمَ عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ". (قال عبد القادر الأرناؤوط: حديث حسن) (الصحيحة:٥٧٢)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" على كل مسلم صدقة". قالوا: يا رسول الله! فإن لم يجد؟ قال:" فيعمل بيديه، فينفع نفسه ويتصدَّقُ". قالوا: فإن لم يستطع- أو لم يفعل-؟ قال:" فيُعِينُ ذا الحاجة الملهوف". قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:" فليأمر بالخير- أو قال: بالمعروف - ". قالوا: فإن لم يفعل؟ قال:" فليمسك عن الشر، فإنَّه له صدقة ".

١- السُّلامي المِفصَل. وجمعه: سُلَامَيات.
٢- الدثور: جمع دثر، وهو: المال الكثير.
٣- البُضع: المراد به هنا الجماع.
٤- أي: بيانُك وتعريفُك.

١٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مظهر عظيم للغيرة، وإجلالٌ لله، وتعظيم لحرماته، ودليل حياة القلب:

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا أحدَ أغْيَرُ من الله، ولذا، حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بَطَن ".

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعظيم لحرمات الله.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ (الحج :٣٠).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢) .

الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، يغضبون لمحارم الله إذا استحلت، كما يغضبُ النَّمِرُ إذا حَرِبَ[١]. ***قال رسول الله ﷺ:*** " المؤمنُ يَغارُ، والله أشدُّ غَيْرًا ". (رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ)

وغيرة العبد لربه أن تُنتهك محارمه وهذا مِلاكُ الغَيرة وأعلاها.

وكيف لا يأمرُ المسلم وينهى ويغارُ على شرع الله المعطَّل المغيب عن ديار المسلمين، والقرآن الذي عُطِّلت أحكامه، والسُّنةُ التي انمحى نورُها وقلّ اتِّباعُها في زمن علا فيه شأن الذوقِ والمواجيد[٢]؟!! كيف لا يغارُ وأعراض المسلمين تُنتهك في كل مكان.

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر علامة حياة القلب، وأنَّ همه كلَّه في الله، وحُبَّه كله له، كلّما عَرَض له من ربه أمرٌ ونهيٌ، أحسَّ من قلبه ناطقا ينطق: لبيك وسعديك، إني آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر، ولك المنةُ عليَّ في ذلك، والحمد فيه عائدٌ إليك.

قال أحد السلف: " وددتُ أن الخلق كلهم أطاعوا الله، وأن لحمي قرض بالمقاريض ".

وقال عبد الملك بنُ عُمَرَ بن عبد العزيز لأبيه: " وددتُ أني غلتْ بي وبك القدورُ في الله تعالى ".

١٦- بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر تُحفظُ الضروريات الخمسُ:

قال الإمام الشاطبي-رحمه الله-: " مَجموع الضروريات خمس: الدِّينُ، والنفس، والعقل، والنسل، والمال". ومقصود الشرع من الخلق خمسة أمور، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونَفْسَهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم. وأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من ناحية الوجود. والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من ناحية الوجود. والمعاملات راجعةٌ إلى حفظ النَّسل والمال من ناحية الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل، لكن بواسطة العادات. والجنايات راجعة إلى حفظ الجميع من جانب العدم. والذي يجمعها من جانب الوجود الأمر بالمعروف، ومن جانب العَدَم: النهي عن المنكر ". (الموافقات للشاطبي:٨/٢)

١- حَرِبَ: اشتد غضبه.

٢- وهي أحوال الصوفية وأمثالهم وهواجس أنفسهم وعقولهم التي خالفوا بها شريعة الله تعالى مخالفة واضحة.

١٧ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شدٌّ لظَهرِ المؤمن، وإرغامٌ لأنف المُنافق والزِّنديق:

قال الثوري -رحمه الله-: " إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمتَ أنفَ المنافق ". **(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص: ٦٧).**

فإنَّ المنافقَ يَخنَسُ[١] ويَشْرَقُ[٢] إذا اضمحلت المنكراتُ بنَهي الصالحين عنها، فكيف إذا أُلزِمَ الاستقامة أمام الناس؟!.

أما المؤمنُ، فإن سعادته لا تُقدَّرُ ولا تُحدُّ حينما ينتشر الخير، فينشرحُ صدر الآمرين بالمعروف بترفع المجتمع عن الدَّنايا، وقُرب الناس من ربهم، ومحاسبتهم لأنفسهم على أصغرِ الزَّلات.

وترك الأمر بالمعروف يُجرِّئُ العصاةَ والفُسَّاق على أهل الإيمان، فينالون منهم، ويتطاولون عليهم، بل ويسخرون منهم.

١٨ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حق الطريق:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ، فَقالوا: ما لَنَا بُدٌّ، إنَّما هي مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قالوا: وَما حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قالَ: غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ".**

- *وعند أبي داود بلفظ:* **" إياكم والجلوسَ بالطرقاتِ. قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما بُدٌّ لنا من مجالسِنا نتحدثُ فيها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" إن أبيتم فأعطوا الطريقَ حقَّه. قالوا: وما حقُّ الطريقِ يا رسولَ اللهِ؟ قال: غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذى، وردُّ السلامِ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ ".**

تنبيه: والأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ: يَكونُ باستِعمالِ جَميعِ ما يُشرَعُ، وتَرْكِ جَميعِ ما لا يُشرَعُ؛ لكنْ بحيثُ لا يَتَعَدَّى إلى الأمرِ الأنكَرِ، حتَّى إنْ ظَنَّ أنَّ ذلك لا يُفيدُ، فإذا حَصَل أمْرٌ يَقتَضي أنْ يُوجِّهَ إلى خَيرٍ، وأنْ يُبَصِّرَ بحَقٍّ؛ فإنَّه يَأمُرُ بالمَعروفِ، وكذلك إذا رأى أمرًا مُنكَرًا، فإنَّه يُنبِّهُ الَّذي حَصَل مِنهُ المُنكَرُ على ذلك، ويُحذِّرُ مِن ذلك، ويُخَوِّفُ منه، وعَليهِ في كلِّ ذلك أنْ يَأمُرَ بالمَعروفِ بأُسلوبٍ حَسَنٍ، ويَنهَى عنِ المُنكَرِ بغَيرِ مُنكَرٍ؛ فإذا رأى مُتشاجِرَينِ أو مُتقاتِلَينِ فعَليهِ أنْ يَأمُرَهما بالكَفِّ عن هذا، ويُصلِحَ بيْنَهما، وإذا رأى شابًّا يُلاحِقُ فَتاةً ويَعترِضُها في طَريقِها، فلْيَنصَحْ له، ويَدفَعْه عن هذا بما استَطاعَ في غَيرِ تَهوُّرٍ ولا إضرارٍ، وهكذا، وعَليهِ أنْ يُحقِّقَ أَولى المَصالِحِ وأهَمَّها، ولْيَعْلَمْ أنَّ دَفْعَ المَفسدةِ أَولى مِن جَلْبِ المَصلَحةِ، وأنَّ المَفسدةَ الصُّغرَى تُحتَمَلُ في جانِبِ دَفْعِ المَفسدةِ العُظمَى.

١- يخنَس: ينقبض ويهرب.
٢- يَشْرَق يُصاب بغُصَّةٍ وألم في حَلقه. والمراد: يختنق.

١٩ - الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر إقامةٌ لِحُجَّة الله تعالى على خَلقِه:

كما قال الشيخ الشنقيطي-رحمه الله- في" أضواء البيان: ١/١٧٦". قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بعد الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥).

جاء في التفسير الوسيط عند قوله تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾. بيان لوظيفة الرسل- عليهم الصلاة والسلام- وللحكمة من إرسالهم.

وقوله:" رُّسُلاً": منصوب على المدح، أو بفعل مقدر قبله، أي: وأرسلنا رسلا. والمراد بالحجة هنا: المعذرة التي يعتذر بها الكافرون والعصاة. أي: وكما أوحينا إليك يا محمد بما أوحينا من قرآن وهدايات. وأرسلناك للناس رسولا، فقد أرسلنا من قبلك رسلا كثيرين مبشرين من آمن وعمل صالحًا يرضاه الله عنه في الدنيا والآخرة، ومنذرين من كفر وعصى بسوء العقبى، وقد أرسل سبحانه الرسل مبشرين ومنذرين ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ﴾ يوم القيامة، أي لكى لا تكون لهم معذرة يعتذرون بها كأن يقولوا. يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك، ويعلمنا أحكامك وأوامرك ونواهيك، فقد أرسلنا إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لكى لا تكون لهم حجة يحتجون بها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ قال الألوسي: فالآية ظاهرة في أنه لا بد من الشرع وإرسال الرسل. وأن العقل لا يغنى عن ذلك. وزعم المعتزلة أن العقل كاف وأن مسألة الرسل إنما هو للتنبيه عن سنة الغفلة التي تعترى الإنسان من دون اختيار. فمعنى الآية عندهم: لئلا يبقى للناس على الله حجة. وتسمية ما يقال عند ترك الإرسال حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة مجاز. بتنزيل المعذرة في القبول عنده - تعالى - بمقتضى كرمه ولطفه منزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ".

وقوله: ﴿حُجَّةٌ﴾ اسم يكون. وخبره قوله ﴿لِلنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ حال من حجة.

وقوله: ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: بعد إرسال الرسل وتبليغ الشريعة على ألسنتهم وهو متعلق بالنفي أي: لتنفي حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل.

قال ابن كثير-رحمه الله-: وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا أحد أغير من الله، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين ".**

- وفى لفظ آخر: **" ومن أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه ".**

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ تذييل قصد به بيان قدرته التي لا تغالب وحكمته التي لا تحيط أحد بكنهها. أي: وكان الله تعالى وما زال هو القادر الغالب على كل شيء، الحكيم في جميع أفعاله وتصرفاته، وسيجازى الذين أساؤوا بما عملوا، وسيجازى الذين أحسنوا بالحسنى. اهـ

هذا وللمرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده كلام نفيس في كتابه "رسالة التوحيد" عن حاجة البشر إلى إرسال الرسل، وعن وظيفتهم-عليهم الصلاة والسلام- وما قاله في ذلك: الرسل يرشدون العقل إلى معرفة الله وما يجب أن يعرف من صفاته. ويبينون الحد الذى يجب أن يقف عنده في طلب ذلك العرفان. على وجه لا يشق عليه الاطمئنان إليه، ولا يرفع ثقته بما آتاه الله من القوة. الرسل يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم. وتنازعته مصالحهم ولذاتهم. فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع. ويؤيدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة. ولا يفوت به المصالح الخاصة. الرسل يضعون لهم بأمر الله حدودا عامة. يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم. كاحترام الدماء البشرية إلا بحق. مع بيان الحق الذى تهدر له، وحظر تناول شيء ما كسبه الغير إلا بحق. مع بيان الحق الذى يبيح تناوله. واحترام الأعراض. مع بيان ما يباح وما يحرم من الأبضاع. يحملونهم على تحويل أهوائهم عن اللذائذ الفانية إلى طلب الرغائب السامية آخذين في ذلك كله بطرف من الترغيب والترهيب والإنذار والتبشير حسبما أمرهم الله-جل شأنه-. يفصلون في جميع ذلك للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم وما يعرضهم لسخطه عليهم. ثم يحيطون بيانهم بنبأ الدار الآخرة، وما أعد الله فيها من الثواب وحسن العقبى، لمن وقف عند حدوده. وأخذ بأوامره. وبهذا تطمئن النفوس، وتثلج الصدور، ويعتصم المرزوء بالصبر، انتظارا لجزيل الأجر. أو إرضاء لمن بيده الأمر. وبهذا ينحل أعظم مشكل في الاجتماع الإنساني، لا يزال العقلاء يجهدون أنفسهم في حلة إلى اليوم.

٢٠- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر شهادةٌ على الخَلق:

قال الإمام مالك بن أنس-رحمه الله-: " ينبغي للناس أن يأمروا بطاعة الله؛ فإن عُصُوا كانوا شهودًا على مَن عَصاهم ". **(الجامع لابن أبي زيد القَيْرواني ص: ١٥٦).**

ويا لمُقامِ الشهادةِ من مرتبة تتضاءل دونَها الرتب!! والله لم لو يكن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا هذه المنقبة لكفى.

٢١- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر خروجٌ من عُهدة التكليف:

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٣-١٦٥).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب يؤدَّى للَّهِ؛ لنُبَلِّغَ إلى الله عُذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا، ثُمَّ لعلَّ النُّصْحَ يؤثر في تلك القلوب العاصية، فيُثير فيها وجدان التقوى.

قال ابنُ العربي-رحمه الله- في قصة أصحاب السبت: " فاستمَرُّوا على نهيهم لهم، ولم يمنع من التمادي على الوعظِ والنهيِ عدمُ قبولهم؛ لأنه فرضٌ، قُبل أم لم يُقبَل".

وقال القاسمي-رحمه الله-: " دلَّ قوله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ على أن النهي عن المنكَرِ لا يَسقط ولو عَلِمَ المُنكِرُ عدم الفائدة فيه، إذ ليس من شرطه حصول الامتثال عنه، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركنٍ عظيمٍ من أركان الدين والغيرة على حدودِ الله، والاعتذار إليه تعالى – إذْ شدَّد في تركه – لكفاه فائدة".

وقال النووي-رحمه الله-: قال العلماء: ولا يسقطُ عن المكلَّف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يُفيدُ في ظنه، بل يجب فعله؟ فإنَّ الذكرى تنفع المؤمن، وقد قدَّمنا أن الذي عليه[1] الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (المائدة:١٩٩). والقولُ بالوجوب هو رواية عن الإمام أحمد، وصححه أبو يعلى، وهو اختيار ابن تيمية، وعزاه ابن رجب إلى أكثر أهل العلم ".

(انظر الآداب الشرعية:١/١٥٨) (مختصر الفتاوى المصرية:٥٨)

وقال ابن تيمية-رحمه الله-: " لو فُرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة (أي مشابهة الكفَّار)، لكان في العلم بها معرفةُ القبيح والإيمان بذلك؛ فإنَّ نفس العلم والإيمان بما كَرِهه الله خير وإن لم يُعمَل به ، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مُجرَّدِ العمل الذي لا يقترن به علم؛ فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر، كان خيرًا من أن يكون مَيِّتَ القلب لا يعرفُ معروفًا ولا يُنكِرُ منكرا.

ثُمَّ لَو فُرض أنَّا عَلمنا أن الناس لا يُنكرون المنكر، ولا يعترفون بأنه منكر، لم يكن ذلك مانعًا من إبلاغ الرسالة وبيان العلم؛ بل ذلك لا يُسقط وجوب الإبلاغ، ولا وجوب الأمر والنهي- في إحدى الروايتين عن أحمد- وقول كثير من أهل العلم ". (اقتضاء الصراط المستقيم:١/ ١٤٨).

١- أي: الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

والقول الثاني: القول بالاستحباب وإنما يكون مستحبًا حيث لم يُخشَ الضَّرر، وهو رواية عن أحمد، واختاره الجصاص والشنقيطيُّ في أضواء البيان ".

(انظر الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي :١/١٥٨) (أحكام القرآن للجصاص:٢/٢١٨) (أضواء البيان للشنقيطي:١/ ١٧٥)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: **شبك النبي ﷺ أصابعه، وقال: كيف أنت- يا عبد الله بن عمرو- إذا بقيت في حثالةٍ[١] قد مَرِجَتْ[٢] عهودهم وأمانتهم، واختلفوا فصاروا هكذا؟! قال: فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال:" تأخذُ ما تَعرِفُ، وتَدَعُ ما تُنكِرُ، وتُقبل على خاصتك، وتدعُهُم وعوامَّهم ".** (صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند)

وفي لفظ آخر: **" بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ ذُكِرَت الفتنة، فقال:" إذا رأيتمُ الناسَ مَرِجت عهودهم، وخَفَّت أمانتهم، وكانوا هكذا- وشبك بين أصابعه-". قال ابنُ عمرو: فقُمتُ إليه، فقلت: كيف أفعل عند ذلك-جَعَلني الله فداك-؟ قال:" الزَمْ بيتك، وأَملِكْ عليك لسانك، وخُذ ما تعرف، ودع ما تُنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودَعْ عنك أمرَ العامَّة ".** (أخرجه الإمام أحمد في المسند)

٢٢- *الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أفضل وأحب الأعمال إلى الله:*

فقد أخرج أبو يعلى في مسنده عن رجل من خثعم قال: قال رسول الله ﷺ: **" أحب الأعمال إلى الله: إيمان باللهِ، ثُمَّ صِلة الرحم، ثُمَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وأبغضُ الأعمال إلى الله: الإشراك بالله، ثُمَّ قطيعة الرحم ".** (صحيح الجامع:١٦٦).

١- الحثالة: الردئ من كلّ شيء.
٢- مرجت: اختلطت وفسدت واضطربت.

٢٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من العذاب:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف:١٦٥)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم. أَنْجَيْنَا من العذاب الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وهكذا سنة اللّه في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت بِعَذَابٍ بَئِيسٍ- أي: شديد بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن اللّه خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون. فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن اللّه سيعاقبهم أشد العقوبة ". اهـ

ومر بنا قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (هود:١١٦).

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " لما ذكر تعالى، إهلاك الأمم المكذبة للرسل، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال، ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا، من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد والردى، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدا. وغاية الأمر، أنهم نجوا، باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة ولكن ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ أي: اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلا. ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: ظالمين، باتباعهم ما أترفوا فيه، فلذلك حق عليهم العقاب، واستأصلهم العذاب.

وفي هذا، حث لهذه الأمة، أن يكون فيهم بقايا مصلحون، لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى. وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إمامًا في الدين، إذا جعل عمله خالصًا لرب العالمين ". اهـ

٢٤- الثوابُ العظيمُ للآمرِ بالمعروف والناهي عن المنكر:

أخرج الإمام أحمد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ مِن أُمَّتِي قومًا يُعطون مِثل أُجورِ أَوَّلِهم، يُنكرون المنكر".

(ضعفه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع:٢٢٢٤)

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإنَّ أهل المُنكَرِ في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة ". (صحيح الجامع:٢٠٣١)

وأخرج أبو داود من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" واللَّهِ لأَنْ يُهدَى بهُداكَ واحدٌ خيرٌ لك مِن حُمْرِ النَّعَم ". (صحيح الجامع:٧٠٩٤)

وأخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي أُمَيَّةَ الشَّعباني قال: أتيتُ أبا ثَعلبة الخُشَنيِّ، فقلتُ له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أَيَّةُ آيةٍ؟ قلتُ: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} (المائدة: ١٠٥)؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: " بل ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وتناهَوا عَنْ المُنْكَرِ، حَتّى إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنْيا مُؤْثَرَةً، وإعْجابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بخاصة نفسِكَ، ودَعْ العوام، العَوامَّ؛ فَإنَّ مِن ورائِكم أيّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلى الجَمْرِ، لِلْعامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أجْرِ خَمْسِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ ".

قال عبد الله بن المبارك: وزادني غيرُ عُتبة[١]: قيل: يا رسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟! قال:" بل أجر خمسين منكم ". (قال شعيب الأرناؤوط: للحديث شواهد يتقوى بها)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو في قبة[٢] من أَدم[٣] حمراء في نحو أربعين رجلا، فقال: إنه مفتوحٌ لكم، وأنتم منصورون مُصِيبون، فمن أدرك ذلك منكم فلْيَتَّقِ اللهَ، وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر، ولْيَصِلْ رحِمَه، ومَثَلُ الذي يُعِينُ قومه على غير الحق كمَثَل البعير يتردَّى[٤] فهو يَمُدُّ بذَنْبِهِ[٥] ".

٢٥- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر بابٌ عظيمٌ لتكفير السيِّئات:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" فتنةُ الرجل في أهله، وماله، ونَفسِه، وولده، وجارِه، يُكفِّرُها الصيام، والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

١- هو عتبة بن أبي حكيم، شيخ عبد الله بن المبارك.
٢- القبة : الخيمة.
٣- والأَدم: الجلدُ المَدبوغ.
٤ - يتردى: يسقط.
٥ - صحيح رواه أحمد في المسند، والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند: إسناده حسن عند مَن يُصحح سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود من أبيه مطلقا، وضعيف عند من يقول: إنه لم يسمع منه إلا اليسير.

٢٦- الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر أفضلُ الجهاد:

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَحَبُّ الجهادِ إلى الله: كلمة حقٌّ تُقال لإمام جائر** ". (صحيح الجامع:١٦٨)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" **أفضل الجهادِ كلمة حق عند سلطان جائر**". (صحيح الجامع:١١٠٠)

– ***وفي رواية:*** " **إنَّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**". (الصحيحة:٤٩١) (صحيح الجامع:٢٢٠٩)

وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **قال سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائر، فأمره ونهاه، فقتله** ". (الصحيحة :٣٧٤) (صحيح الجامع :٣٦٧٥)

وفي رواية: " **قال خيرُ الشُّهداء حمزة بن عبد المطلب، ثُمَّ رجلٌ قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه في ذات الله، فقتله على ذلك** ".

تنبيهات:

١– من فضل الله على الأمير أو الخليفة أن يرزقه الله البطانة الصالحة التي تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر.

– ***فقد أخرج الإمام مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **إِنَّ اللَّهَ لم يبعث نبيًّا ولا خليفةً إلا وله بطانتان[١]: بطانةٌ تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألُوهُ خبالًا[٢]، ومَن يُوْقَ بطانة السُّوءِ فقد وُقيَ** ".

– ***وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **ما بَعثَ اللَّهُ من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانةٌ تأمرُه بالشر، وتَحضُّه عليه؛ فالمعصومُ مَن عَصمَ الله تعالى** ".

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأمراء والسلاطين من باب النصيحة الواجبة على من يستطيع.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث تميم الدَّارِي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **الدِّينُ النَّصيحة**". **قلنا: لمن؟ قال:" للَّه، ولكتابه، ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم** ".

٣– لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول بحق إذا علمه، أو ينهى عن منكر إذا رآه.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ **أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا، فكان فيما قال:" ألا؛ لا يمنعَنَّ رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه** ". (صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٣٧) (الصحيحة:١٦٨)

١- البطانة: خاصَّةُ الإنسان والمُقربون إليه.
٢- لا تألُوهُ خبالًا: أي لا تُقصِّرُ في الكيد به ومحاولة إفسادِ ما يريد.

٤- ليس على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حرج ألا يأمر أو ينهى إذا كان الأمر فوق طاقته وقدرته، أو سيلحقه أذى متحقق في نفسه، أو أهله وماله، أو دينه وعرضه.

- ***فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله*** ﷺ:" **لا ينبغي للمؤمنِ أن يُذِلَّ نفسَه، قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟! قال:" يتعرضُ من البلاءِ لما لا يُطِيقُ"**

(صحيح الجامع:٧٧٩٧)

وفي هذا الحَديثِ يَقولُ الرَّسولُ ﷺ:" **لا يَنبَغي لِلمُؤمِنِ أنْ يُذِلَّ نَفْسَه**"، والمَعنى: لا يَجوزُ لِلمُؤمِنِ أنْ يأتيَ ما يَكونُ سَبَبًا في ذُلِّه وهَوانِه مع الناسِ، فتعَجَّبَ الصَّحابةُ؛ لِأنَّه لا يُوجَدُ شَخصٌ يُحِبُّ ذلك لِنَفْسِه؛ فالإنسانُ مَجبولٌ على إعزازِ نَفْسِه،" **قالوا: وكيف يُذِلُّ نَفْسَه؟**" كيف يُذِلُّ الشَّخصُ نَفْسَه؟ وما نَوعُ ذلك الإذلالِ؟ قال النَّبيُّ ﷺ:" **يَتعَرَّضُ مِنَ البَلاءِ لِمَا لا يُطيقُ**" قيلَ: بالدُّعاءِ على نَفْسِه بالبَلايا، أو بفِعلِ ما يَنتِجُ عنه ذلك، ومِثالُه: إنكارُه لِمُنكَرٍ باليَدِ أو باللِّسانِ؛ فيَترتَّبُ عليه بسَبَبِ ذلك ضَرَرٌ لا يَستَطيعُ تَحمُّلَه، كأنْ يأمُرَ بالمَعروفِ ويَنهى عنِ المُنكَرِ مَن لا يَسلَمُ غالِبًا مِن أذاه على نَفْسِه ومالِه وأهلِه؛ فليس له والحالُ كذلك أنْ يأمُرَ أو يَنهى؛ لِمَا يَترتَّبُ عليه مِن ذُلٍّ وهَوانٍ لِلمُؤمِنِ، وهذا لا يُسقِطُ عنه الإنكارَ بالقَلبِ، فإنْ فَوَّتَ اليَدَ واللِّسانَ لِعلَّةٍ، لم يَسقُطْ عنه إنكارُ القَلبِ. وفي الحَديثِ: أنَّ المُسلِمَ مأمورٌ بعَمَلِ ما في استِطاعَتِه دونَ تَشدُّدٍ أو إهانةٍ ومَذلَّةٍ لِلنَّفْسِ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **إنَّ اللَّهَ لَيسألُ العبدَ يومَ القيامَةِ حتَّى يقولَ ما منعَكَ إذ رأيتَ المنكرَ أن تُنْكِرَهُ فإذا لقَّنَ اللَّهُ عبدًا حجَّتَهُ قالَ يا ربِّ رَجوتُكَ وفَرِقْتُ منَ النَّاسِ** ". (صحيح ابن ماجه: ٣٢٦٠) (صحيح الجامع:١٨١٨) (الصحيحة:٩٢٩)

وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو سعيدٍ الخُدْريُّ ﷺ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:" **إنَّ اللهَ لَيسأَلُ العبدَ يومَ القيامةِ**"، أي: يَسأَلُه عن كلِّ شيءٍ، "**حتَّى يقولَ: ما منَعَك إذْ رأيتَ المنكَرَ أن تُنكِرَه؟!**"، أي: ما عُذرُك في عدَمِ النَّهيِ عن المنكَرِ عِندَ حُضورِك له؟!" **فإذا لَقَّن اللهُ**"، مِن التَّلقينِ والتَّفهيمِ، أيْ: فَهَّم وألْهَم "العبدَ حُجَّتَه"، أي: بُرهانَه في جوابِه لربِّه،" **قال**"، **أي: العبدُ:" يا ربِّ رَجَوتُك**" أن تَغفِرَ لي ولا تُؤاخِذَني بتَركِ النَّكيرِ،" **وفَرِقْتُ مِن النَّاسِ**"، أيْ: خِفتُ مِنهم، فسامَحتُ في حقِّك؛ اعتِمادًا على أنَّك كريمٌ مَرجُوٌّ؛ لكَمالِ فَضلِك ولُطفِك. ولا يفهم من الحديثِ ترك المنكر اعتمادا على عفو الله وكرمه، بل فيه الحثُّ على إنكارِ المنكَرِ، بدليل أنه سيسأل عن التقصير في هذا يوم القيامة. (الدرر السنية)

٢٧- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من مُوجِبات الجَنَّة:

أخرج الطبراني في الكبير وابن حبان عن أبي كثير السُّحَيمِيِّ عن أبيه قال: سألت أبا ذر ﷺ قلتُ: دلَّني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة. قال: سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال:" تؤمن بالله واليوم الآخر". قلتُ: يا رسول الله! إنَّ مع الإيمان عملًا. قال:" يَرضَخُ[١] مما رزقه الله". قلتُ: يا رسول الله! أرأيت إن كان فقيرًا لا يَجِدُ ما يَرضخُ به؟ قال:" يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر". قلت: يا رسول الله! أرأيتَ إن كان عَيِيًّا[٢] لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ قال:" يصنعُ لأَخْرَقَ[٣]". قلتُ: أرأيتَ إن كان أخرقَ أن يصنعَ شيئًا؟ قال:" يُعِينُ مغلوبًا". قلت: أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يُعِينَ مغلوبا؟ قال:" ما تريد أن يكون في صاحبك من خير؟! يُمسِكُ عن أذَى الناس". فقلتُ: يا رسول الله، إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال:" ما مِن مُسلم يفعلُ خَصلةٌ من هؤلاء إلَّا أخذت بيده حتَّى تُدخله الجنة ". (حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في صحيح ابن حبان).

وأخرج الإمام أحمد من حديث البَراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابي فقال: يا نبي الله! علمني عملًا يُدخلني الجنة. قال:" لئِنْ كنتَ أَقْصَرْتَ الخطبة، لقد أعرضت المسألة[٤]، أعتقِ النَّسَمَةَ، وفُكَّ الرقبة". قال: أو ليستا بواحدة؟ قال:" لا، إنَّ عِتْقَ النَّسمةِ أن تُفرَدَ بعتقها، وفَكُّ الرقبة أن تُعِينَ في عتقها، والمِنْحَةُ الوَكُوفُ[٥]، والفَيْءُ على ذِي الرَّحِمِ[٦] الظالم؛ فإن لم تُطِقْ ذلك فأطعم الجائع، واسْقِ الظمآنَ، وأمر بالمعروف، وانْهَ عن المنكر؛ فإن لم تُطِق ذلك فكُفَّ لسانك إلَّا من الخير ".

(صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند:٣٠/ ٦٠٠)

١- يَرضخُ: يعطي عطية قليلة.
٢- العَيِيُّ: العاجز.
٣- الأخرق: الذي لا يحسن عمل شيء.
٤- أعرضت المسألة: أي: جئت بها عريضة، أي: واسعة.
٥- المنحة الوكوف: الشاة الغزيرة اللبن، الكثيرة الدر.
٦- الفيء على ذي الرحم: الرجوع عليهم بما رد الله تعالى عليك من أموال.

ومما يدل على فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: العواقب الوخيمة التي تلحق بمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومنها:

١- نَفي الإيمان عمَّن قَعد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو بالقلب:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من نبي بعثه اللهُ في أُمَّةٍ قبلي، إلا كان له من أمته حواريون[١] وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تخلف من بعدهم خُلُوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون؛ فمَن جاهَدَهم بيده فهو مؤمنٌ، ومَن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خَردل"**

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من رأى منكم منكرًا فلْيُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ".**

فلا رخصة لأحدٍ في ترك الإنكار بالقلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " وإنكارُ القلب هو الإيمانُ بأن هذا مُنكَر وكراهته لذلك ".

(اقتضاء الصراط المستقيم:١/١٤٨)

وقال أيضًا –رحمه الله–: وقوله ﷺ: **" وذلك أضعف الإيمان"**، مراده: أنه لم يبقَ بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتّى يفعله المؤمن، بل الإنكارُ بالقلب آخِرُ حُدودِ الإيمان، وليس مرادُه إنَّ مَن لم يُنكر لم يكن معه من الإيمانِ[٢] حَبَّةُ خردل، ولهذا قال: **" ليس وراءَ ذلك"**، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه ". اهـ **(مجموع الفتاوى:٢٨/١٢٧)**.

وقال الإمام القرافي–رحمه الله–: " ما معنى قوله:" وذلك أضعفُ الإيمان"؟ جوابُه: المراد بالإيمان هنا الإيمان الفعلي الوارد في قوله تعالى: **{وما كانَ اللهُ لِيُضِيعَ إيمَانَكُمْ}** (البقرة: ١٤٣)، أي:" صلاتكم لبيت المقدس"، والصلاة فعل. وأقوى الإيمان الفعلي: إزالة اليد، ثُمَّ القول، لأنه قد لا تقعُ معه الإزالة، وقد تقع. والإنكار القلبي لا يُورّثُ إزالة البتة ". **(الفروق للقرافي:٤/٢٥٦)**

ومتى لا يعرفُ القلبُ المعروف ولا ينكر المنكر، فهذا علامة موته.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" تُعرَضُ الفِتَنُ على القلوب كعَرْضِ الحصيرِ عُودًا عُودًا[٣]، فأيُّ قلب أُشرِبَها، نكت فيه نكتة سوداء، وأيُّ قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين: أبيضَ مِثل الصَّفا[٤]، فلا تَضُرُّهُ فِتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخَرُ أسودُ مُربادًّا[٥] كالكُوزِ مُجَخِّيًا[٦]، لا يعرفُ معروفًا ولا ينكر منكرًا إلَّا ما أُشربَ من هواه ".**

١- الحواري: الناصر.
٢- يقصد الإيمان بالكلية.
٣- أعواد الحصير معروفة. وقد ضُبطت هذه الكلمة أيضًا بفتح العين "عَوْدًا عَوْدًا"، أي: تأتي الفتن على القلب مرةً بعد مرة.
٤- الصفا: الحجارة.
٥- مربادًّا: أسود فيه بياض يسير.
٦- الكوز المُجخِّي: أي المقلوب على رأسه. يعني منكوسًا.

اعلم أن كثيرًا من الناس يظنون أنه ما دام كارها للمنكر، فلا بأس عليه بمخالطة فاعله، أو الجلوس معه حال مُواقعته للمنكر، أو البقاء في مكان فيه منكرٌ!! وهذا مخالفٌ للشرع.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ (النساء:١٤٠).

وهذا نهيٌ صريحٌ عن مُجالستهم حال مواقعتهم لهذا المنكر، فمادام لا يقدرُ على الإنكار باليد أو اللسان، فلابد إذن من مفارقته للمُنكَر. هذا هو الصحيح ". (انظر مجموع الفتاوى :٢٨/٢٠٤،٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٩).

قال الإمام القرطبي-رحمه الله-: " فَدَلَّ بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأَنَّ مَن لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرّضا بالكُفر كفر. **قال الله:** ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، فكلُّ مَن جلس في مجلسِ معصيةٍ ولم يُنكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء. وينبغي أن يُنكر عليهم إذا تكلَّموا بالمعصية وعملوا بها؛ فإن لم يقدر على النَّكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم – حتّى لا يكون من أهل هذه الآية – ؛ وإذا ثبت تَجنُّبُ أهل المعاصي، فتَجنُّبُ أهل البدع والأهواء أولى".

(تفسير القرطبي:٥/٤١٨)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي: إن قعدتُم معهم في الحال المذكور ﴿مِّثْلُهُمْ﴾، لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها.

والحاصلُ إنَّ مَن حضرَ مَجْلسًا يُعصى الله به، فإنه يتعيَّنُ عليه الإنكارُ عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها ". (تفسير السعدي:٢/٩٣)

وأخرج أبو داود من حديث عُرْسِ بن عَمِيرَةَ الكِندِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض، كان مَن شَهِدها وكَرِهَها كمَن غاب عنها، ومَن غاب عنها فَرَضِيَها كان كمَن شَهِدها** ".

(صحيح الجامع:٦٨٩)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " **إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتُنكرون[١]، فمَن كَرِه فقد بَرِئَ، ومَن أنكر[٢] فقد سَلِم، ولكن مَن رَضِيَ وتابَعَ...**".

١- فتعرفون وتُنكرون: أي تعرفون بعض أفعالهم لموافقتها للشريعة، وتنكرون بعضها لمخالفتها للشريعة.

٢- من أنكر: أي من أنكر بقدر استطاعته سلم من الإثم، ومن لم يستطع إنكارًا، وكره تلك المعصية بقلبه فقد برئ من الإثم. ومن رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي، فالإنكار بالقلب هو مرتبة من مراتب الإنكار، وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولا يعذر أحدٌ بتركه على الإطلاق.

٢- ترك الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للعن اللّه تعالى على من وقع في مثل هذا:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة:٧٨،٧٩).

وأخرج أَبُو داود والترمذي بسند فيه مقال من حديث ابن مَسْعُودٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: إِنَّ أَوَّلَ مَا دخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّه وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُم يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وَهُو عَلَى حالِهِ، فَلا يَمْنَعُه ذلِك[١] أَنْ يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ[٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ إِلَى قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾ (المائدة:٧٨-٨١). ثُمَّ قَالَ: كَلَّا، وَاللَّه لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ[٣]، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ[٤]، ولتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا [٥]، ولَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا[٦]، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّه بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ[٧] ".

ولفظ الترمذي:" لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ في مَجَالِسِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ، وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعتَدُونَ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا فَقَالَ: لا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأطُرُوهُمْ عَلَى الحَقِّ أطرًا ".

---

١ - فلا يمنعه ذلك: أي ما رآه من ذلك أمس .

٢ - ضرب الله قلوب بعضهم ببعض: يقال ضرب اللبن بعضه ببعض أي خلطه، ذكره الراغب، وقال ابن الملك -رحمه الله-: الباء للسببية، أي: سوَّد الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير أو الرحمة بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضا. انتهى.

٣ - بالمعروف: المعروف ما عرف في الشرع يعني أمر معروف بين الناس يعرفونه ولا ينكرونه إذا رأوه.

٤ - والمنكر: أمر لا يعرف في الشرع بل منكر ينكره من رآه كالشخص الذي لا يعرفه الناس وينكرونه إذا رأوه.

٥- ولتأطرنه على الحق أطراً: قال الخطابي: أي لتردنه على الحق، وأصل الأطر العطف والتثني، وقال في" النهاية ": وتأطروه على الحق أطراً تعطفوه عليه.

٦ - ولتقصرنه على الحق قصراً: أي لتحبسنه عليه وتلزمنه إياه، كذا في" مرقاة الصعود" ، وفي" النهاية " يقال: قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها عليه وألزمتها إياه. (عون المعبود : ١١/ ٣٢٧) .

٧- والحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وهو ضعيف ؛ لانقطاعه بين أبي عبيدة وأبيه عبد الله بن مسعود . وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر في " تحقيق المسند : ٣٧١٣"، والشيخ الألباني في" السلسلة الضعيفة : ١١٠٥"..

٣- ترك الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لعدم إجابة الدعاء:

فمن قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان مستجاب الدعوة، ومن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذا دعا فلا يستجاب لدعائه.

فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه وابن حبان من حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ-رضي الله عنها-: " دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ[١]، فَمَا سَلَّمَ عَلَيَّ حَتَّى تَوَضَّأَ، فَلَصِقَتْ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرَكُمْ ". (صحيح ابن حبان:٢٩٠)

وأخرج الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتَنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليُوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثُمَّ تدعونه، فلا يُستجاب لكم ". (صحيح الترمذي:١٧٦٢)

وَأخرج الطَّبَرانِيُّ وغَيْرِهِ مِن حَدِيثِ ابْنِ عَبّاسٍ-رضي الله عنهما- قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " ما طَفَّفَ قَوْمٌ كَيْلًا، ولا بَخَسُوا مِيزانًا، إلّا مَنَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ القَطْرَ، وما ظَهَرَ في قَوْمٍ الزِّنا إلّا ظَهَرَ فِيهِمُ المَوْتُ، وما ظَهَرَ في قَوْمٍ الرِّبا إلّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجُنُونَ، ولا ظَهَرَ في قَوْمٍ القَتْلُ - يَقْتُلُ بَعْضُهم بَعْضًا - إلّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، ولا ظَهَرَ في قَوْمٍ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ إلّا ظَهَرَ فِيهِمُ الخَسْفَ، وما تَرَكَ قَوْمٌ الأمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ إلّا لَمْ تُرْفَعْ أعْمالُهم ولَمْ يُسْمَعْ دُعاؤُهُمْ ".

٤- الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر نشرٌ للعلم والسُّنة، وذيوعٌ للخير، وتركُهما اندراسٌ للعلم، وظهور للجهل، وتزيينٌ للمعاصي:

فإن المنكر إذا ظهر-ولم يُوجَدْ مَن يُنكره-، نشأ عليه الصغيرُ وأَلِفَه، وظَنَّ أنه من الحقِّ، ويصيرُ الواقع فتنةً للعامة، يُصدَّقُ فيها الكاذب، ويُكذِّبُ فيها الصادق، ويؤتَمَنُ فيها الخائن، ويُخوَّنُ الأمين، ويَنطِقُ الرويبضة، وهو السفيه الذي يتكلَّمُ في أمر العامة، بل وفي دين الله.

وضدُّ ذلك[٢] أن يَجلوَ[٣] أمرُ المنكرِ أمام الناس، ويعرفه الصغير والكبير، فينتشر العلم، ويظهر نورُ السُّنة في المجتمع ودنيا الناس. وإذا كثر الفاعلون للخير تَدَاعَى الناسُ إلى فعله؛ لأنَّ النفوس مجبولة على تشبه بعضها ببعض؛ فالناس كأسراب القَطَا[٤].

وصاحب المنكر كالبعير الأجرب، يختلط بالإبل فتَجرَب جميعا، وأهل الفساد لا يَضُرُّون إلا بموافقة الناس لهم، ويكرهون مَن تَنزَّه عن ذلك، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إلى أنَّ المرأة الزانيةَ تَوَدُّ أن النساء كلَّهُنَّ يَزنينَ . ونَقَل ذلك عن السلف.

١- أي أقلقه وأزعجه.
٢- أي: عندما يُؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر.
٣- تجلو: يظهر ويتضح.
٤- القطا: نوع من الطيور.

٥- تاركُ الأمرِ والنَّهي والقاعدُ عنهما موصوفٌ بالظلم:

قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (هود:١١٦).

أراد بـ {الَّذِينَ ظَلَمُوا} تاركي النهي عن المنكرات، أي: لم يهتموا بما هو ركنٌ عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتَّبعوا طلب الشهوات واللذات، واشتغلوا بتحصيل الرِّياسات.

(انظر التفسير الكبير للرازي:١٨/ ٧٥) (فتح القدير للشوكاني:٢/ ٥٣٤) (تفسير القاسمي:٩/١٨٠)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥).

قال الزمخشري-رحمه الله-: " ليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنَّ مَن تَركهما- مع القُدرة عليهما-فليس بمُهتدٍ، وإنما هو[١] بعضُ الضَّلال الذي فَصَلت الآيةُ بينهم وبينه ".

(الكشاف:١/٣٨٦)

وذهب بعض المفسرين في تفسير هذه الآية إلى نُكتة لطيفة، وهي أن الآية تقول: إن المؤمنين لن ينال منهم الضَّالُّون شيئًا إذا كانوا مهتدين؛ وإنما يكون الإنسان مهتديًا إذا لم يقتصر على إصلاح نفسه، بل يسعى لإصلاح غيره؛ والذي يتركُ السَّعي لذلك فإنه جائرٌ من قصدِ السبيل- مهما كان صالحًا متورعًا في نفسه -. وإنَّ ما ذهبوا إليه ليس نكتة دقيقةً فحسب، بل هي تمثل رُوح الكتاب والسنة.

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للسيد جلال الدين العمري ص: ٢٨)

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال: " يا أيها الناس، إنكم تقرؤونَ هذه الآية: ﴿يَأيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؛ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إنَّ الناس إذا رأَوْا ظالما فلم يأخُذوا على يديه، أوشك أن يعمَّهمُ اللهُ بعقاب ".

وفي قصَّةِ" أصحاب السبت" قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: " يُخبرُ تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاثِ فِرَقٍ: فرقةٌ ارتكبت المحظور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت. وفرقةٌ نهت عن ذلك واعتزلتهم. وفرقةٌ سكتت- فلم تفعل ولم تَنْه-، ولكنها قالت للمُنكِرة: ﴿لِمَ تَعظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكَهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الأعراف:١٦٤)، أي: لِمَ تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هَلكوا واستحقُّوا العقوبة من الله، فلا فائدة في تهيكم إيَّاهم؟!. قالت لهم المنكرةُ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾. قرأ بعضهم بالرفع[٢]، كأنه على تقدير:" هذه معذرة". وقرأ آخرون بالنَّصب[٣]، أي:" نفعل ذلك معذرةً إلى ربكم"، أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. يقولون: ولعلَّ بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم ورحمهم .

١- يقصد ترك الأمر والنهي، والله أعلم.
٢- وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي.
٣- وهي قراءة عاصم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، أي: فلما أبَى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي: ارتكبوا المعصية ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾. فنصَّ على نجاة الناهين وهلاكِ الظالمين، وسكت عن الساكتين لأن الجزاء من جنس العمل فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيما فيُذموا. ومع هذا فقد اختلف الأئمة فيهم: هل كانوا من الهالكين، أو من الناجين؟، على قولين: ***قال عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:*** ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: فلما وقع عليهم غضبُ الله، نجت الطائفتان اللتان قالوا: لِمَ تَعظُونَ قَوْما اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ، والذين قالوا: مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم. وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة".

وقال حماد بن زيد عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، قال: ما أدري، أنجا الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، أم لا؟. قال [1]: فلم أزل به حتَّى عرفته أنهم قد نَجَوْا، وكساني حُلَّةً ".

وساق ابن كثير-رحمه الله- رواية عكرمة التي ذكرها عبد الرزاق في تفسيره وابن جرير كذلك، وفيها: قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: فأرى الذين نَهَوا قد نَجَوا، ولا أرى الآخرين ذكروا. ونحن نرى أشياءَ نُنكرها ولا نقول فيها. قال: قلتُ [2]: أي جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم، وقالوا:﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْما اللهُ مُهْلِكُهُمْ﴾؟! قال: فأمر لي، فكسِيتُ ثوبين غليظين. وكذا روى مُجاهدٌ عنه.

ثُمَّ قال ابن كثير-رحمه الله-: " القول الثاني: أن الساكتين كانوا من الهالكين: عن عكرمة عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال:" ابتدعوا السبت، فابتلوا فيه، فحُرمت عليهم فيه الحيتان، فكانوا إذا كان يوم السبت شرعت [3] لهم الحيتان، ينظرون إليها في البحر، فإذا انقضى السبت ذهبت، فلم تر حتى السبت المقبل، فإذا جاء السبتُ جاءت شُرَّعًا، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك. ثُمَّ إن رجلا منهم أخذ حوتًا، فَخَزمه بأنفه [4]، ثُمَّ ضرب له وتدًا في الساحل، وربطه وتركه في الماء؛ فلما كان الغد أخذه، فشواه، فأكله، ففعل ذلك وهم ينظرون ولا يُنكرون، ولا ينهاه منهم أحدٌ إلَّا عُصبةٌ منهم نَهَوْه ، حتَّى ظهر ذلك في الأسواق، ففعل علانية. قال: فقالت طائفةٌ للذين ينهونَهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، فقالوا: نَسخطُ أعمالهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

١- القائل: عكرمة.
٢- القائل: عكرمة.
٣- شرعت: ظهرت.
٤- خَزمه: جَرَحَه.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: **" كانوا أثلاثا: ثلث نَهَوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة. فما نَجا إلا الذين نَهَوا، وهَلك سائرُهم.**

وهذا إسناد جيد عن ابن عباس-رضي الله عنهما-، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا، لأنه تَبَيَّنَ حالهم بعد ذلك، والله أعلم. **(انظر: تفسير ابن كثير:٦/٤٢٤)**

وعلى أي حال، فإن "الأُمَّةَ الثالثة" قد سكت عنها النص، ربما تهوينا لشأنها- وإن كانت لم تُؤخَذ بالعذاب -، فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: " ليس الدِّينُ بمجرَّدِ تركِ المحرمات الظاهرة، بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة لله، وأكثر الدَّيِّنين لا يعبؤون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس، وأما الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لله ولرسوله وعباده، ونصرة الله ورسوله وكتابه ودينه فهذه الواجبات لا يخطر ببالهم، فضلا عن أن يريدوا فعلها، فضلا عن أن يفعلوها. وأقل الناس دينًا وأمقتُهم إلى اللَّهِ مَن تَرك هذه الواجبات- وإن زهد في الدنيا جميعها-؛ وقَلَّ أن يُرى منهم مَن يَحمَرُّ وجهه ويتمعرُ في الله، ويغضب لحرماته، ويبذل عرضَه في نُصرة دينه. وأصحاب الكبائر أحسن حالا عند الله من هؤلاء". اهـ

قال الشيخ حمد بن عتيق-رحمه الله-: " قد فتح الشيطان لكثير من الناس أبوابًا من الشر في إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألقاها على أُناس فيهم شُبهةُ دِينٍ حتَّى اعتقدوها أعذارًا لهم، وإنما هي من زخارف الشياطين، ولكن إذا تَبَيَّنَ أن الزاني والسارق وشارب الخمر أحسن حالا عند الله من هؤلاء الجنس، فهذا كافٍ في شناعة مذهبهم وسُوءِ مُنقلبهم[1] ".

قال بعضُ السَّلف: " من ترك الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر مخافة المخلوقين، نُزعت منه الطاعة، فلو أمر ولده أو بعض مواليه لاستخفَّ بحقِّه".

قال جامع بن شدَّاد: **كنت عند عبد الرحمن بن يزيد بفارس، فأتاه نَعي الأسود بن يزيد فأتيناه نُعزّيه، فقال: مات أخي الأسود. ثُمَّ قال: قال عبد الله بن مسعود ﷺ:" يذهبُ الصالحون أسلافًا، ويبقى أصحابُ الرَّيْب. فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، وما أصحابُ الرَّيْب"؟! قال: قوم لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر".** **(شعب الإيمان للبيهقي)**

١ـ مجموعة رسائل الشيخ حمد بن عتيق، والدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

٦- شمول العذاب للجميع عند كثرة الخبث وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي بكرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الناسَ إذا رأوا الظالم، فلم يأخذُوا على يدَيه، أوشكَ أن يَعمَّهُمُ اللهُ بعقابٍ منه ". (صحيح الجامع:١٩٧٣).

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي بكرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ النَّاسَ إذا رأوا المنكر ولا يغيِّرونه، أوشكَ أن يَعُمَّهُمُ اللهُ بعقابه ". (صحيح الجامع:١٩٧٤) (الصحيحة:١٦٧١)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من قوم يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ وأكثر ممن يعمله، ثُمَّ لم يُغيِّرُوه، إلا عمَّهم الله تعالى منه بعقاب ". (صحيح الجامع:٥٧٤٩)

أخرج البخاري من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَثَلُ القائم على حدودِ الله [١] والمداهن [٢] فيها، كمثل قومٍ استهموا [٣] على سفينة في البحر، فأصاب بعضُهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مَرُّوا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها لا نَدْعُكم تصعدون فتُؤذونا. فقالوا [٤]: لو أنَّا خَرَقْنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذِ من فوقنا! فإن يتركوهم وما أرادوا هَلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا جميعًا ".

وفي رواية عند ابن حبان:" مَثَلُ المُداهِنِ في حدودِ الله، والراكب حدودَ الله والآمر بها، والناهي عنها، كمثَل قومٍ اسْتَهَمُوا في سفينةٍ [٥]مِن سُفُنِ البحر، فأصاب أحدهم مؤخَّرَ السفينة وأبعدها عن المرفق[٦]- وكانوا سُفَهاءَ-، وكانوا إذا أَتَوْا على رجال القومِ آذَوْهُم، فقالوا: نحن أقرب أهل السفينة منَ المِرْفَقِ وأبعدهم من الماء؛ فتعالوا نَخرِقْ دُفَّ السَّفينة [٧]، ثم نرده إذا استغنينا عنه. فقال مَن نَاوَأَهُ مِن السُّفهاء: افْعَلْ. فأهوى إلى فأس ليضرب به أرضَ السفينة، فأشرف عليه رجلٌ رشيد، فقال: ما تَصْنَعُ؟! فقال: نحن أقربكم من المرفق وأبعدكم منه؛ أخرِقُ دُفَّ السفينة، فإذا استغنينا عنه سدَدْناه[٨]. فقال: لا تفعل، فإنَّك إنْ فعلتَ، تَهْلِكُ ونَهْلِكُ ". (صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط).

١- القائم على حدود الله : يعنى القائم في إزالتها ودفعها وإنكارها. والمراد بالحدود: ما نهى الله عنه.
٢- المُداهِنُ : الذي يَعلمُ الحقَّ من الباطل، لكنه يسير مع أهل الباطل في باطلهم إرضاءً لهم، ولذا قال تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} أي : ودوا لو تميل عن الحق فيميلون معك.
٣- استهموا: عملوا قرعة.
٤- أي: الذين في أسفل السفينة.
٥- أي عملوا قُرْعَةً لمعرفة أماكنهم.
٦- المرفق: المغتسَل (مكان الاغتسال)، ومنه مرفق الدار، وهو مصابُّ الماء.
٧- الدُّفُ والدَّفَّة : الجانبُ مِن كلّ شيءٍ، هكذا جاء في" لسان العرب لابن منظور:٢/ ٣٩٦".
٨- سددناه: أي أصلحناه.

ووقوع الهَلاكِ من جهتين:

الأولى: أن المعاصي التي تظهرُ ولا تُنكر، سبب للمصائب والعقوبات.

والثانية: أن السكوت ذاتَه يُعَدُّ معصية يستحقُّ صاحبها العقوبة، كما أنه يدلُّ على التهاون في دين الله.

هذا إذا كان الساكت عنه فردًا من أفراد المجتمع. أمَّا حين تسكت الأمة بأسرها، فإن العقوبةَ تَحُلُّ وتَعُمُّ في هذه الحال. **وقال تعالى:** ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال:٢٥)

عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: **" أمر الله المؤمنين ألَّا يُقِرُّوا[١] المنكر بين أظهرهم، فيعمهم العذاب ".**

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-: ولهذا الأثر شاهدٌ من حديث عَدِي بن عَمِيرةَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إنَّ اللَّهَ ﷻ لا يُعذِّبُ العامة بعمل الخاصَّة، حتَّى يَرَوُا المنكر بين ظهرانِيهم وهم قادرون على أن يُنكروه؛ فإذا فعلوا ذلك عَذَّب الله الخاصة والعامة [٢] ".**

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما من قوم يُعمَلُ فيهم بالمعاصي وهم أعزُّ وأكثر ممن يعمله، ثُمَّ لم يُغيِّروه، إلا عمَّهم الله تعالى منه بعقاب ".** (صحيح الجامع:٥٧٤٩) (صحيح الجامع:٣٢٣٨)

ومما يدل على هذا أيضًا؛ قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا[٣] فَدَمْدَمَ[٤] عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ[٥] فَسَوَّاهَا[٦]﴾

(سورة الشمس:١٤)

وقوله:﴿فَعَقَرُوهَا﴾: جاءت بصيغة الجمع، مع أن الذي عقرها واحدٌ منهم فقط وهو قدار بن سالف كما جاء في الرّوايات، ووافقه الجميع على ذلك واجتمع رأيهم جميعاً على هذا، فاشتركوا بالإثم.

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" فكذبوه أي كذبوا صالحا-عليه السلام- في قوله لهم: " إنكم تعذبون إن عقرتموها ". ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي عقرها الأشقى. وأضيف إلى الكل؛ لأنهم رضوا بفعله وقال قتادة: ذكر لنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ". اهـ

١- أي: لا يسكتوا عليه.

٢- حديث حسن قال الحافظ في الفتح": أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود من حديث العُرْسِ بن عَمِيرة - وهو أخو عدي، وله شواهد من حديث حذيفة وجرير وغيرهما عند أحمد وغيره. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في المسند:٢٥٨/٢٩":" حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي عن الصحابي، وباقي رجال الإسناد ثقات.

٣- العقر: هو ضرب قوائم النّاقة، حيث تقع النّاقة على الأرض ثمّ تُنحر، ولا يفعل ذلك إلّا متمرّسٌ على هذا، لذلك قال سبحانه وتعالى: (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ) (القمر:٢٩).

٤- فَدَمْدَمَ: أي أرجف الأرض بهم، ومعنى الرّجفة في اللّغة: الحركة، حيث أطبق الله سبحانه وتعالى عليهم العذاب فأهلكهم استئصالاً.

٥- بِذَنبِهِمْ: فالله سبحانه وتعالى أخذهم بذنبهم وبما اقترفوه، فقد كذّبوا برسولهم صالح عليه السّلام والله سبحانه وتعالى ليس بظلّام للعبيد، فهو سبحانه يقول: (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) (الأعراف: من الآية ٣٩).

٦- فَسَوَّاهَا: أي فسوّى الدّمدمة بهم وعمّهم بها صغيرهم وكبيرهم، فسوّى بينهم بالعذاب.

وقال ابن كثير –رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" قال الله : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ أي: كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾ أي: غضب عليهم، فدمر عليهم، ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء.

قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها ". اهـ

قال ابن العربي–رحمه الله–:" وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يُعجل الله عقوبته، ومنها ما يُمهِلُ بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجَّلُ عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثَّمَرات وركوب الذُّلُّ منَ الظَّلمة للخَلق ". (عارضة الأحوذي:٩/١٥).

وجاء في حديث عند البخاري من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش–رضي الله عنها– قالت:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ! ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ؛ فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذِه. وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ الإبْهَامِ والَّتي تَلِيهَا، قالَتْ زَيْنَبُ بنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! أنَهْلِكُ [1] وفِينَا الصَّالِحُونَ [2]؟ قالَ: نَعَمْ؛ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ [3] ".

وفي الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كثر الصالحون، وفي الحديث شؤم المعصية، والتحريض على إنكارها. (فتح الباري)

وقد بوب الإمام مالك في موطئه بابًا بعنوان: بابُ ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة.

وأخرج البيهقي في الشعب عن عُمَرَ بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ–رحمه الله– قال:" كَانَ يُقَالُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ ، وَلَكِنْ إِذَا عُمِلَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا : اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلُّهُمْ " .

(الموطأ:١٨٢٠) (الزهد لابن المبارك:١٣٥١)

وقال بلالُ بن سعد –رحمه الله–:" إنَّ المعصية إذا خَفِيت لم تضرَّ إلَّا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تُغيَّر، ضرت العامة ".(الزهد لابن المبارك:١٣٥٠) (الحلية:٥/٢٢٢)

وقال العلاءُ بن بدرٍ–رحمه الله–: إنَّ الله تعالى لا يُعذِّبُ أُمَّةً تستتر بالمعصية ".

١- بكسر اللام، وهو الصواب.

٢- وإذا كَثُرَ المُجترِنونَ على مَعاصي اللهِ دونَ رادعٍ ولا وازعٍ؛ عَمَّ الهلاكُ الجَميعَ، ثُمَّ يُبعَثُ كلٌّ على نيَّتِه؛ كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- عن النَّبِيَّ ﷺ قال:" إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللهُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ بَأْسَهُ "، قَالَتْ: وَفِيهِمْ أَهْلُ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ:" نَعَمْ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى ". (الصحيحة :٣١٥٦) .. وقيل: إذا عزَّ الأشرارُ وذلَّ الصَّالِحون، فيَهلِكُ العامَّةُ بِفَسادِ الخاصَّةِ ولو كان فيهم الصَّالِحون، إذا انتَشَرَت الفواحشُ، وفَشَت المنكَراتُ، ولم يُنكِرْها أحدٌ، كما قال تعالَى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} (الأنفال: ٢٥).

٣- الخبث: الفسوق والفجور والمعاصي.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك